اقرأ

كريم ثابت

الملك فاروق

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

الملك فاروق

كريم ثابت

الملك فاروق

اقرأ * ٢٠
تصدرها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
بمعاونة الدكتور طه حسين بك وأنطون الجميل بك
وعباس محمود العقاد وفؤاد صروف

الفصل الأول

كيف تشرفت بمعرفة جلالته

كنت أمضى الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ فى فنـدق كترِكت بأسوان ، وفى ذات يوم شعر نزلاء الفندق أن فى جناح منه حركة غير اعتيادية فسألوا عن الباعث عليها فعلموا أن جلالة الملك المعظم وجلالة الملكة يصلان إلى أسوان بعد يومين فى زيارة عادية وأنهما سيشرفان الفندق و يقيمان به أياماً للراحة والاستجمام ثم يشرعان فى رحلة صحراوية

وقابل نزلاء الفندق جميعاً هذه المفاجأة السارة باغتباط عظيم ، ولم يعد لهم حديث إلاّ بها و بما تهيئه لهم من فرصة سعيدة نادرة لاجتلاء طلعة صاحبى الجلالة عن كثب

ولم أ كن قد تشرفت بعد بمقابلة مليكنا المحبوب فشاطرت جميع نزلاء الفندق اغتباطهم طبعاً ولكن فى الوقت نفسه ساورنى شىء من القلق . . .

كنت قلقاً لأننى صحافى !

فقد خشيت أن يتبادر إلى ذهن المليك أننى جئت إلى أسوان كصحافى بمناسبة تشريفه لها ، وأن طبيعة عملى الصحفى تغلبت على ما يجب علىّ من احترام لمشيئة جلالته فى أن تكون رحلته رحلة عادية ، خالية من المظاهر الرسمية ، والقيود التقليدية

ولذلك تعمدت ألاّ أظهر فى أرجاء الفندق إلاّ نادراً ، بل إنه لما شرفه جلالته حظى برؤيته جميع نزلائه ما عداى ، فقد آثرت الابتعاد والانزواء ولم أعلم بتشريف جلالته إلاّ متأخراً

وما كاد المقام يستقر بجلالته فى الفندق حتى سرى بين نزلائه أن الملك لا يريد أن تكون إقامته بينهم سبباً فى تقييدهم بأى قيد كان

أفهموهم أن جميع قاعات الفندق وأبهائه ستظل مفتوحة لهم كالمعتاد ، وأن الجلوس على شرفة الفندق الكبيرة المطلة على النيل والحديقة سيظل مباحاً لهم فى كل وقت ، فان الملك يودُّ أن يشعروا بأنه واحد منهم وأن تشريفه للفندق لم يغير شيئاً فى نظام مقامهم به

حتى الأطفال كانوا أحراراً فى أن يسرحوا فى أرجاء الفندق ويمرحوا

بل إنهم كانوا أول من التقى بهم الملك بعد وصوله إلى الفندق بقليل ، فكان يستوقفهم ويداعبهم ويربت على أكتافهم وهم يلعبون ولا يدرون أى شرف ينالون

وما كدت أغادر حجرتى فى ذلك اليوم حتى أقبل علىّ بعض خدم الفندق يقولون « مبروك » فقلت لهم « مبروك على إيه ؟ »

فأخبرونى عندئذ أن مولانا استوقف ابنتى ليلى وهى تعدو فى بهو الفندق ولاعبها وسألها عن اسمها فلم تجاوبه وكان عمرها يومئذ ستة عشر شهراً ولمّا تتكلّم . . .

فقلت فى نفسى الحمد لله على أنها لا تتكلم بعد وإلاّ افتضح أمر وجودى

***

ومضيت فى سبيلى إلى شرفة الفندق وكانت مكتظة بنزلائه فجلست فى ركن منها أتمتع مثلهم بجمال إقليم أسوان فى ذلك الفصل من السنة

وبعد قليل حانت منى التفاتة إلى أحد الأبواب التى تؤدى إلى الشرفة فلمحت الملك مقبلاً . . .

ترى ماذا يفعل نزلاء الفندق ؟ أيقفون أم يظلون جالسين ؟

وفى تلك اللحظة مرّ جلالته ببعض منهم فنهضوا إجلالاً فأشار إليهم بأن يجلسوا وحياهم بعبارة رقيقة باسماً ، ولاحظ جلالته أن آخرين يهمون بالنهوض كذلك فأومأ إليهم بأن يظلوا جلوساً

ومن تلك اللحظة أخذت دمقراطية جلالته تتجلى بأجمل مظاهرها ، وأدرك الناس أنه إذا كان الملك قد أعفاهم من القيود الرسمية فعليهم من ناحيتهم أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يذهب برونق الاستجمام الذى ينشده

و بعد الغداء عاد جلالته إلى الشرفة ودعا سعادة مراد محسن باشا ناظر الخاصة إلى الجلوس بالقرب منه ، وتسنى للجالسين على الشرفة فى تلك الساعة أن يشاهدوا كثيراً من عطف جلالته على رجاله والقائمين على خدمته وأن يروا بأنفسهم المعاملة السمحة التى يلقونها منه ، فقد كان أحد ضباط الياوران واقفاً على بعد خطوات من مجلسه فدعاه وأمره بالجلوس معهما و بعد قليل أمر الياور الآخر بأن يجلس معهم كذلك

وجىء إليه بالقهوة فأشار جلالته إلى الخادم من طرف خفى بأن يجلب لهم قهوتهم فلما جلبها تلطف وأذن لهم فى شربها فاعتذروا وكانوا قد شربوها قبل تشريف جلالته

و إذ لاحظ جلالتـه أن ناظر خاصته لا يدخن ناوله علبة سجايره فأخرج منها سعادته سيجارة ولما لم يشعلها ناوله جلالته « الولاعة » ليشعلها بها

و بعد ما أمضى جلالته فترة من الوقت على شرفة الفندق صعد إلى الجناح الخاص به وعكف على مطالعة التقارير والأوراق المرسلة إليه من القاهرة كأنما استكثر على نفسه أن يمتعها بالراحة يوما كاملا

وقضى جلالته صباح اليوم التالى وقبل ظهره كله فى الاطلاع و البحث فلم يغادر الجناح الخاص به إلا بعد الغداء

وكنت جالساً وقتئذ فى حجرة الكتابة فى الفندق أسجل ما رأيته أمس ؛ و بعد ما أنجزت الكتابة غادرت الحجرة متجهاً إلى مدخل الفندق لأسأل مديره عن أمر كنت أريد الاستفسار عنه

و بينما كنت أجتاز البهو الكبير سمعت صوتاً يناديني باسمى فالتفت إلى ناحية مصدره فأبصرت دولة حسين سرى باشا فكرر مناداتى فاتجهت إليه وأنا لا أصدق ما تراه عيناى . . .

فقد رأيت جلالة الملكة تحمل ابنتى ليلى على ذراعها وهى تداعبها وتلاعبها وقد وقف على مقربة منها حسين باشا وأحد

ضباط الياوران وإحدى السيدات الوصيفات

وابتدرنى حسين باشا بقوله : « هل تعرف ابنة من هى هذه الطفلة ؟ » فقلت : « إنها ابنتى يا افندم »

فتفضلت جلالة الملكة وسألتنى عن اسمها وعمرها ثم جلست جلالتها وأخرجت قطعة نقود من ذات العشرة القروش وأخذت تداعبها بها على مائدة صغيرة ، وفجأة رأيت ابنتى تأخذ نظارة جلالة الملكة وتلعب بها فأردت أن أعطيها نظارتى لعلها تقنع بها عوضاً عنها ، ولكن نظارة الملكة استوقفت نظرها بلونها الأزرق فأبت أن تدعها تفلت من يدها ثم زمتها على الأرض فقلت : « عفواً يا صاحبة الجلالة إنها لا تدرى ما تفعل » . فقالت جلالتها باسمة : « اتركها . اتركها . إن فوزية تفعل مثل ذلك تماماً »

فلم أجد ما أقول سوى الدعاء إلى الله أن يحفظ لمصر ملكها وملكتها وأن يقر أعينهما بالأميرتين المحبوبتين فريال وفوزية

وفى تلك اللحظة أقبل جلالة الملك وكانت ابنتى لا تزال تلعب بنظارة الملكة فاشترك مع جلالتها فى مداعبتها ثم التفت إلىّ وقال : « لقد كلمت ابنتك بالعربية فلم ترد علىّ فكلمتها بالانجليزية

فلم تجاوب فجربت الفرنسية فلم تجاوب أيضاً » فقلت : « إنها لا تتكلم بعد يا مولاى » فقال جلالته مازحاً : « ومتى تظن أنها تتكلم . . . »

كل ذلك وجلالته مستمر فى اللعب معها

ثم جاء أحد الياوران وقال لصاحبى الجلالة إن السيارات حضرت فنهضا وتفضل الملك فأولانى شرف مصالحته

وكانت هذه أول مرة أتشرف فيها بمقابلة جلالته فخرجت منها بشعور زادته الأيام رسوخاً ، وهو أنه ملك ذو قلب عظيم وأن الله حباه بتلك القوة التى تجتذب القلوب إليه : قوة أن يكون إنساناً قبل كل شىء ، وهى أعظم قوة يستطيع ملك أن يتمتع بها

وكنت بعد ذلك كلما تشرفت بلقاء جلالته رأيت صوراً جديدة لتلك القوة الإنسانية فأحمد الله على أن ملكنا سما إلى ذروة الدمقراطية الصحيحة بروحه الفطرية ، ويقينى أن هذا هو شعور كل من أسعده الحظ بمعرفته عن قرب ، بل عندى أن عظمة الفاروق الحقيقية لا تتجلى بأجمل صورها إلا فى المواقف غير الرسمية لأنك تدرك عندئذ أن سجاياه التى يتحدثون بها فى المواقف الرسمية هى طبيعة فطر عليها ، فالاعتزاز بمصر والثقة بقواها

الكامنة والعطف على الشعب والبر بالطبقات العاملة والشفقة على الفقراء — كل ذلك لا يتكلفه الفاروق ولا يتصنعه ، بل إنك تلمسه فيه لمساً كلما حظيت بمجلسه ، وفى كل حديث من أحاديثه ، وهو فى الوقت عينه يبهرك بتواضعه و بساطة معاملته ، فترى كيف تكون عظمة التواضع ، وترى كيف تكون عظمة البساطة فى المعاملة ، وعندئذ تؤمن بأنه المصرى الأول بروحه وشعوره قبل أن يكون المصرى الأول بلقبه وعرشه

***

وكان مساء ذلك اليوم ليلة رأس السنة الميلادية الجديدة

وكان الفندق كله فى عيد ، وقد زاده تشريف الملكين بهجة وسروراً

وقبيل أن يأزف موعد العشاء أذيع أن صاحبى الجلالة سيتعشيان مع نزلاء الفندق فى قاعة الأكل الكبرى فعمهم البشر والابتهاج

واعتاد جلالتهما عند ما لا يتناولان الطعام فى الجناح الخاص بهما أن يتناولاه فى قاعة الأكل مع سائر نزلاء الفندق

ولما انتهى العشاء انتقل نزلاء الفندق إلى قاعة الحفلات

حيث انضم إليهم كثيرون من غير النازلين بالفندق وقد جاءوا ليقضوا فيه سهرة العيد آملين أن يحظوا بطلعة المليك

و بعد قليل أقبل الملكان يحف بهما جلال الملك ، فنهض الجميع تحية واحتراماً ، وعزفت الموسيقى السلام الملكى ، ثم أخذا مكانهما فى جانب من جوانب القاعة

ولم يشأ جلالة الملك أن يكون وجوده سبباً فى تغيير شىء من برنامج السهرة وتقاليد العيد ، فدعا إليه سعادة توفيق دوس باشا بوصفه رئيساً لمجلس إدارة شركة فنادق أعلى الصعيد وأوعز إليه بأن يذيع بين الحاضرين أن الملك يرغب إليهم فى أن يتمتعوا بحريتهم كاملة

ترى ماذا حدث عندئذ ؟

ما كادت الإشارة الملكية تسرى بين الحاضرين حتى أخذ المصريون منهم يهتفون لجلالته ولجلالة الملكة بما يعرب عن إخلاصهم وولائهم

كانوا يريدون أن يهتفوا من أول لحظة ولكنهم ترددوا ، فقد لا تسمح التقاليد بالهتاف فى ذلك المكان وفى ذلك المقام ، ولكن ما كاد توفيق دوس باشا يقول للجميع لا تقيدوا حريتكم

حتى انبعث الهتاف من كل جانب ، فكانت مظاهرة جميلة تكررت مرة أخرى عند حلول رأس السنة الجديدة فى منتصف الليل، فإن توفيق دوس باشا وقف فى تلك الدقيقة ودعا إلى شرب نخب صاحبى الجلالة ، فنهض الجميع إجلالاً وهتفوا لهما هتافاً عالياً ، وشرب صاحبا الجلالة النخب عصيراً من البرتقال

وقبيل أن تنتهى السهرة غادر الملكان القاعة فودعهما الحاضرون من مصريين وأجانب وداعاً حافلاً ، ولم يكن لهم بعد ذلك حديث سوى ما شاهدوه من دمقراطيتهما

***

وفى اليوم التالى تعشى الملكان فى قاعة الأكل الكبرى كذلك، ثم اتجها بعد العشاء إلى البهو الكبير تحيط بهما الحاشية ، وكان أحد جوانب البهو محجوزاً لهما، ولكن الهواء نزع البطاقة التى كتب عليها « محجوز » من المائدة التى وضعت عليها ، فلما رأيت ذلك الجانب من البهو خالياً دعوت بعض الأصدقاء والمعارف من نزلاء الفندق إلى الجلوس هناك دون أن ينتبه أحد منا إلى البطاقة التى سقطت على الأرض ، وبعد قليل أقبل الملكان ومرّا بالرواق المحاذى للبهو ولما اقتربا من الركن الذى جلسنا فيه تمهلا فى السير

فلما رأيا جميع مقاعده مشغولة واصلا سيرهما لـكيلا يشعرانا بما بدر منا ، ولكن حدث عندئذ شيء غريب فقد أدرك كل واحد منا فى تلك اللاحظة أن المكان لم يكن خالياً اتفاقاً بل كان محجوزاً للملكين ، وبدون أن نتشاور فيما يجدر بنا عمله نهضنا جميعاً وتسللنا الواحد تلو الآخر ، فخرج بعضنا إلى الشرفة وانتقل البعض الآخر إلى الجهة المقابلة من البهو . . . حدث ذلك كله فى دقيقة واحدة ومن غير أن نتبادل كلمة واحدة كأن هامساً همس فى آذاننا جميعاً أن نقوم

و بينما كنا واقفين على الشرفة جاءنا أحد ضباط الياوران وقال: إن مولانا أمرنى بأن أدعوكم إلى العودة إلى المكان الذى كنتم جالسين فيه

فقال أحدنا على الفور : ولكننا لا نريد إزعاج مولانا ولذلك يحسن أن نبقى هنا

فقال : إن مولانا نفسه هو الذى أمر بذلك

فرجعنا جميعاً من حيث كنا ، وأدينا للملكين واجب الاجلال والتحية ، فأشار إلينا جلالته بأن نجلس فجلسنا ، وفى أثناء السهرة حانت من صاحبي الجلالة التفاتة كريمة وأنا أسأل سعادة

مراد محسن باشا : هل نسعد بسماع حديث عن الأميرتين فريال وفوزية ؟

وهنا ابتسمت جلالة الملكة وقالت : ماذا يقول ؟

فبعثنى هذا العطف على تكرار ما كنت أقوله لمراد باشا

و بعد قليل أخذت جلالتها تتحدث عن الأميرتين المحبوبتين، فكانت أمًّا تتحدث عن كريمتيها

وكانت جلالتها كلما استرسلت فى الحديث ازددنا شعوراً بجمال الأمومة وقد تمثلت فيها بأنبل صورها وأصدق معانيها

كان حديث جلالتها مثالا سامياً رفيعاً لكل أم ، نقول مثالاً لأن الأم يجب أن تكون أمًّا قبل كل شىء ولو كانت ملكة !

قالت جلالتها : إن فريال تظهر استعداداً عظيما لتعلم اللغات ، وهى تتكلم الآن العربية والانجليزية والفرنسية وتميز بعضها من بعض فقد حرصنا على أن لا تتغلب لغة منها على أخرى فإذا خاطبناها بالعربية أجابت بالعربية وإذا كلمناها بلغة أجنبية ردت علينا بها

وهنا قال جلالة الملك : وسنبذل عناية خاصة بأن تتقن فريال وفوزية اللغة العربية على الوجه اللائق بلغة البلاد

ولم يقل جلالته أكثر من ذلك ولكنها كانت عبارة سامية المعنى وجديرة بأن تصل إلى بيوت كثيرة !

وقالت جلالتها : وتحب فريال الأطفال حباً عظيماً وهي شديدة الحنو على شقيقتها فوزية وتظن أنها أكبر منها كثيراً فإذا أنبتها على شيء قالت لي : إنها لا تزال طفلة يا ماما ...

وقال جلالة الملك : إن البنات بركة . . . وأنا لا أزال شاباً ، وعندما تكبران أريد أن تشعرا أنني أخ كبير لهما لا والد فقط ... والد أحياناً وأخ كبير أحياناً أخرى . . .

فكانت هذه العبارة على إيجازها درساً جليلا في التربية خليقاً بأن يستوعبه كل والد له أولاد ويريد لهم نشأة صحيحة

ومضت جلالة الملكة في حديثها فقصت علينا كيف بدأت الأميرة فريال تدرك المقام السامي الذي لجلالة والدها فإذا تكلمت عنه مع أحد قالت « مولانا » (بضم الميم وتسكين الواو) لأنها تسمع كل من في القصر يقول « مولانا » فتريد أن تقول مثلهم

وتلاحظ سموها الرعاية التي تحيط بها جلالة والدتها الوصيفات فإذا أقبلت وصيفة منهن قالت لها سموها بعد التحية : اتفضلي ياست هانم

وهنا ابتسم جلالة الملك وقال : إن الملكة تمضى وقتها كله مع فريال وفوزية

فقالت جلالتها : ليس فى الحياة الدنيا زينة أجمل من التوافر على العناية بالأطفال

فى تلك الساعة كدنا ننسى أننا فى حضرة الملكين فقد كان الوالد هو الذى يتكلم لا الملك ، وكانت الأم هى التى تتحدث لا الملكة

ولما رجعت إلى حجرتى فى آخر السهرة خشيت أن أنسى ما دار فيها فعكفت على تدوينه وقد استهللت الكتابة بقولى : لقد أتيحت لى فى حياتى الصحافية مناسبات تاريخية متعددة ولكن المناسبة التى هيأتها الليلة دمقراطية صاحبى الجلالة الملك والملكة ستظل غرة تلك المناسبات.

***

وفى اليوم التالى نزل جلالة الملك إلى شرفة الفندق متقلداً بندقيته ثم لم ألبث أن رأيته يصوبها نحو مركب شراعى فى النيل ويطلقها فلم أتبين فى بدء الأمر هدفه ثم علمت أنه جعل الهدف قطعة صغيرة من الصفيح مثبتة فى أعلى سارية المركب فأصابها

جلالته غير مرة بما ينم على مهارة عظيمة فى الرماية . وقد أتيح لى فيما بعد أن أشاهد هذه المهارة فى مباراة دولية للرماية سيجىء الحديث عنها فيما بعد

ولما فرغ جلالته من تمرينه قلت له : لم أكن أدرى يامولاى أنكم تجيدون الرماية هذه الإجادة

فابتسم جلالتــه وقال : وما قيمة الرجل الذى لا يحمل بندقية . . .

وكنت أعلم شيئاً كثيراً عن ولع جلالته بالسلاح ، وعن شغفه بفك القنابل ، وتحليل موادها ، والإحاطة بالأجزاء التى تتألف منها ، وإعادة تركيبها ، وذلك فى المعمل الخاص الذى أنشأه فى قصره ليتردد عليه فى أوقات فراغه ، فقلت لجلالته إنها هواية لا تخلو من مخاطرة ، فابتسم مرة أخرى وقال : ما من أحد يموت قبل يومه ! . . .

الفصل الثانى

رحلات جلالته الصحراوية
وما تفيده البلاد منها

وفى الغد خرج جلالة الملك إلى رحلته الصحراوية

ولم تكن هذه أول رحلة لجلالته فى الصحراء فقد تعددت فى سنة ١٩٤١ زياراته للواحات ، وفى سنة ١٩٤٢ رحل جلالته غير رحلة واحدة إلى صحارى مصر الشرقية

وقد لا يرى بعضهم فى هذه الزيارات والرحلات سوى مظهرها وهو حب جلالته للرياضة وشغفه بالصيد ، ولكن الذين ينعمون النظر فى نتائجها و يحيطون بأخبارها من الذين يتشرفون بمرافقته فيها يرون ما هو أسمى من ذلك بمراحل ، فان جلالته بزياراته لتلك المناطق النائية يريد أن يعرف مملكته معرفة شخصية، منطقةمنطقة و إقليماً إقليماً ، ويريد فوق ذلك أن يقضى على الرأى القائل أن هناك مناطق قريبة ومناطق بعيدة فيشعر سكان الجهات المنعزلة عن الحواضر أنهم يلقون من عنايته

بأحوالهم واهتمامه بشؤونهم ما يبعث ولاة الأمور على الاقتداء به بعد ما ظلت تلك الجهات زماناً طويلاً معدودة كمنفى أو شبه منفى للموظفين المغضوب عليهم

وكان الحكام السابقون إذا أرادوا زيارة واحة كواحة «سيوه» مثلاً قامت الحكومة لذلك وقعدت ، وأعدت من المعدات ما لا يحصره بيان ، واتخذ رجال الادارة من التدابير ما يعكفون على تهيئته أسابيع برمتها ، فاذا الملك فاروق يقلب تلك الأوضاع كلها رأساً على عقب فيرحل رحلاته الصحراوية فى أبسط مظهر ، ولما لاحظ أن السكان يصرون على تزيين منازلهم وأكواخهم وقراهم مع تنبيهه الشديد على ولاة الأمور بأن لا يقيموا زينات ما أخذ يفاجئهم بزياراته مفاجأة ليوفر عليهم كل تكليف مهما يكن ضئيلاً

ولم يكن لجلالته وقد ورث عن المغفور له والده العظيم حب الكشف العلمى أن يجرد هذه الرحلات من الأغراض العلمية ، ففى كل مكان ينزله يأمر بجمع نماذج من الماء الذى يجرى فيه ، ومن كل شىء يستوقف نظره فى الزراعات ، وفى طبقات الأرض ، حتى إذا عاد إلى القاهرة أمر بارسالها إلى الجهات الفنية

لتدرسها ، وتبدى آراءها الفنية فيها ، وتوافيه بتقارير عنها

ثم إن جلالته بهذه الزيارات المستمرة لأرجاء المملكة غير المطروقة يحث المصريين على الاهتمام بمعرفة بلادهم أكثر مما يعرفونها ، فتكثر زياراتهم لتلك الأرجاء ، فتزداد الصلات بين سكانها وسكان الحواضر ، ويزداد اهتمام الحكومة بشؤونها ومرافقها وهو ما توخاه الملك فؤاد من زياراته لمرسى مطروح وسيوه والسلوم فى سنة ١٩٢٨ فلما زارها دولة اسماعيل صدقى باشا وهو رئيس للحكومة بعد ذلك بثلاث سنوات أو أربع ، وكنت أصحبه فى تلك الزيارة، لم أسمع فى كل مكان سوى أن الملك فؤاداً هو الذى أوصى بعمل كيت ، أو أن الملك فؤاداً هو الذى أوعز بصنع كيت ، وكان جلالته قد سبق كل رئيس حكومة فى تاريخ مصر الحديث إلى زيارة تلك النواحى النائية

ومن فوائد هذه الرحلات وأغراضها أنها ستقضى مع الوقت على وهم قديم تسلط على السواد الأعظم من الموظفين فأصبحوا ينظرون بعدم الرضى إلى كل مهمة يكلفونها بعيداً عن الحواضر فاذا قيل لأحدهم إنه سيذهب إلى سيوه أو إلى مرسى مطروح أو إلى الواحات أو إلى الصحراء الشرقية عد ذهابه إليها نفياً له — فهذا

الوهم سيبدده جلالة الملك مع الأيام فيسدى إلى البلاد خدمة من أجل الخدمات . سيبدده لأنه فى كل رحلة من رحلاته يلقى علينا طائفة من الدروس الصامتة ولكنها دروس عملية فتجئ أبلغ من كل كلام ، ومن هذه الدروس أن لا فرق بين قريب و بعيد وأن المناطق النائية والبقاع المنعزلة يجب أن تكون موضوع تفكيرنا واهتمامنا على الدوام ما دامت تؤلف جزءاً من المملكة

ومن هذه الدروس أن الملك يسعى إلى تلك المناطق والأرجاء بنفسه غير مكترث لمشاق والصعاب بل المأثور عن جلالته أنه يسلك فى رحلاته الصحراوية أوعر المسالك وأصعب الدروب ، وقد أتيح لى أن ألقى نظرة على الخارطات التى سارت القافلة الملكية على هديها فى الرحلة الثانية إلى الصحراء الشرقية فإذا بها قد سلكت فى بعض الجهات طرقاً لم يسلكها ملك قبل الآن بل لم تطأها قدم مصرى قبل الآن ، وما حدث فى هذه الرحلة حدث فى غيرها

ومن هذه الدروس أنه إذا كان ملك البلاد يذهب إلى تلك المناطق والأرجاء ويتحمل فى هذا السبيل ما يتحمل و يقطع ١١٠٠ كيلومتر فى سبعة أيام كما فعل فى الرحلة التى أشرت إليها فى الفقرة المتقدمة

فليس لأحد بعد ذلك أن يشكو ، أو يتذمر ، إذا طلب إليه الذهاب إلى منطقة منها

***

وحدث مرة فى إحدى رحلات المليك الصحراوية أن ضلت القافلة الطريق ولاحظ جلالته أمارات الاضطراب على وجوه العربان الذين يصحبونها لتسترشد بخبرتهم ، وبينما هو كذلك قيل له إن البنزين نفد وإن بعض الخزانات التى ظنوا أنها مملوءة بنزيناً ملئت بترولاً خطأ ، وكان ماء الشرب قد نفد كذلك أو كاد . . . . ولم يكن مع القافلة لاسلكى تتصل بواسطته بمن يستطيع إنجادها

ولم يلبث الاضطراب أن ساور الجميع . ما عداه ، فقد ظل جلالته محتفظاً بهدوئه ورباطة جأشه ومسيطراً على أعصابه كعادته فى كل موقف خطير ، وبعدما شجعهم وأمرهم بما يتعين عليهم عمله قال لهم لا فائدة ترجى من أن تبقوا جميعاً مجتمعين فى بقعة واحدة ، بل من الأفضل أن تنتشروا شعباً للبحث عن الماء ريثما يفطن الناس إلى تأخرنا ويخطر لهم أن يبحثوا عنا ، فأطاعوا أمره ، ومرت ثلاثة أيام بقيظها قبل أن يهتدوا إلى الماء ،

وكان الظمأ قد أخذ منهم مأخذه ، ويؤكد جلالته أنه لو طلع عليهم اليوم الرابع بدون شرب لما كان الذين خفوا إلى نجدتهم قد وجدوهم على قيد الحياة

وإذا روى جلالته هذا الحادث رواه كأنه يتحدث عن نزهة عادية وكان تعليقه الوحيد عليه : « إن هذا الحادث علمنا أن نأخذ معنا فى كل رحلة صفائح إضافية من البنزين والماء وأن نخبئها فى مكان لا يهتدى إليه أحد بحيث لا تمتد إليها يد إلا عند الضرورة القصوى ، وكذلك صرنا لا نخرج فى رحلة صحراوية طويلة بدون أن نأخذ معنا آلة اللاسلكى »

وجلالته هو الذى يشرف على إعداد جميع معدات هذه الرحلات ، فلا تشتغل المصالح الحكومية بها ، وذلك حرصاً منه على أن تظل بعيدة عن كل صبغة رسمية استيفاء للأغراض التى يتوخاها منها

وهو الذى يدرس خططها ويعين مراحلها

وهو الذى يجعل من نفسه قدوة للآخرين فى التقشف والترحيب بما تنطوى عليه حياة الصحراء من شظف العيش

وهو الذى يحمل نفسه ، راضياً مغتبطاً ، ما ينوء به سائر

أعضاء القافلة من ارتياد مناطق وعرة إلى تسلق جبال مرتفعة إلى زيارة مناجم والطواف بمصانع ، على نحو ما حدث فى خلال الرحلة الشاقة التى رحلها جلالته فى شهر يناير سنة ١٩٤٢ فى الصحراء الشرقية وعلى شاطىء البحر الأحمر

وكل ذلك فى سبيل الدرس والاستطلاع فيفيد بلاده بمشاهداته وملاحظاته

وكان فى استطاعة جلالته أن يجوب معظم تلك الأرجاء بطريق البحر فيستريح ، ولكنه لم يفكر فى راحته بل فكر فى مشاهدة أقصى ما يمكنه مشاهدته ، وفى جمع أغزر ما يتسنى له جمعه من المعلومات ، وفى اكتساب أعظم مقدار من الخبرة يسعه اكتسابه ، فوجد أن السفر بالسيارات يحقق غرضه فى هذا كله أكثر من السفر بحراً ، فجعلها رحلات بالسيارات غير مبال بمشاقها وغير مكترث لتقلبات الجو وكانت كثيرة فكان بذلك قدوة لشباننا فى غير ناحية واحدة .

ومتى ذكر الباحث ما سيكون للصناعة من شأن فى حياة مصر المقبلة وما لذلك من علاقة بالثروة المعدنية العظيمة التى يحويها جوف الأرض فى المناطق التى جابها جلالته فى غير رحلة

واحدة من رحلاته أدرك ما سيكون لمشاهدات جلالته وملاحظاته من نتائج هامة على مر الأيام ولاسيما أن من أعز أمانيه أن تصبح مصر بلاداً صناعية بقدر ما هى بلاد زراعية

ولا يقنع جلالته فى أثناء طوافه بما يلمحه عن بعد أو بما يصل إلى مسمعه عن طريق الأحاديث والتقارير، بل هو دائماً حريص على مشاهدة كل شىء بنفسه والإحاطة بكل شىء يسمعه، ولذلك فان الفنيين الذين يتشرفون بلقائه يدهشون لمعلوماته الفنية وقوة ذاكرته وسداد ملاحظته وعنايته العظيمة باستيعاب كل ما يقع عليه نظره

وتراه بعد هذا كله إذا أصيبت سيارته بعطب وهى فى وسط الصحراء بادر إلى إصلاحها بنفسه غير متأفف من ذلك ولا متذمر، فقد أولع بالميكانيكا منذ صغره، وهو بلا ريب من أمهر الميكانيكيين، وهو إلى جنب ذلك صانع مقتدر بيديه وقد صنع بهما أشياء كثيرة يفخر بها وهى تضعه حتما فى مصاف الصناع الأكفاء، وليس فى استعمالى لكلمة «صانع» ما يضير جلالته فإنه يعتز بما تصنعه يداه فى أوقات الفراغ للتسلية، وقد سمعته مرة يقول :

« لو لم أكن ملكاً لكنت صانعاً بارعاً بما أستطيع صنعه بيدى »

* * *

وقد أنشأ جلالته فى المزارع الملكية فى أنشاص متحفاً يحفظ فيه النادر من الحيوانات والطيور التى اصطادها فى خلال رحلاته بعد تحنيطها

وفى بعض أرجاء هذا المتحف خزانات من الزجاج تحتوى على نماذج من جميع المعادن التى عثر عليها جلالته فى تلك الرحلات وعلى نماذج أخرى من جميع طبقات الأرض التى استوقفت أنظار جلالته فى الواحات والصحارى ، وتؤلف جميع هذه النماذج متحفاً نفيساً للمشتغلين بالعلم وهى دليل مادى ناطق على ما تفيده البلاد علمياً من رحلات المليك فى صحارى مصر وواحاتها

ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذا المتحف ينمو باطراد ، وقد نسق تنسيقاً جميلا بإشراف جلالة الملك نفسه وهو يزوره من وقت إلى آخر ليتفقد ما يضاف إليه من تحف جديدة ، وإذا زار زائر أنشاص بدعوة من جلالته فان هذا المتحف يكون حتما

فى مقدمة ما يدعى إلى مشاهدته ، ولا ريب فى أنه سيكون لمحتوياته شأن كبير فى المستقبل القريب

ويأبى جلالته أن يذكر اسمه فى هذا المتحف كأن يقال مثلا إنه هو الذى اصطاد هذا الطير أو ذاك الحيوان فيكتفون بتثبيت تاج صغير على اللوحة التى ينقش عليها اسم الطير أو الحيوان وتاريخ اصطياده ومكانه، أما الطيور والحيوانات التى لم يصطدها جلالته فلا يوضع هذا التاج على لوحاتها

***

ولا يخرج جلالته فى رحلة من هذه الرحلات بدون أن يكون مصحفه فى جيبه وهو المصحف الذى لا يفارقه أبداً

وحدث مرة أن نسيه جلالته فى القصر فلما فطن إلى ذلك أرسل رسولا بسيارة خاصة ليأتيه به

وعند جلالته مجموعة نفيسة من المصاحف وهو يستعين على درس خطوطها ونقوشها بخبير خاص له عنده منزلة رفيعة

ولجلالته فى قصر القبة مكتبة خاصة تشغل عدة حجرات وتملأ رفوف كل حجرة من الأرض إلى السقف ، وهى غير مكتبة عابدين الرسمية ، وقد أنشأ جلالته بجوار هذه المكتبة

الخاصة حجرة خاصة بحفظ مجموعته النفيسة من المصاحف احتراماً لها ، وقد بنيت هذه الحجرة على الطراز العربى وحليت قبتها وجدرانها بالآيات القرآنية والنقوش العربية فجاءت آية فى الجمال والفن ، وسمع جلالته بعضهم يقول مرة إن الناس لا يعرفون شيئاً عن هذه الحجرة وعن عنايته بمصاحفه فقال : « وهل يعلن المؤمن عن إيمانه ؟ » فأفحمهم

* * *

وفى جميع تلك الرحلات يقود جلالة الملك سيارته بنفسه ، وليست قيادتها فى دروب الصحارى الوعرة بالأمر الهين المريح ، ولكن جلالته يجد لذة كبيرة فى هذا الضرب من الرياضة ولا سيما أنه سائق ماهر ، بل إنه يجىء فى الطليعة بين أمهر السائقين ، وكان لا يزال فى السابعة من عمره لما بدأ يقود سيارته الخاصة

وقد اتفقت آراء الخبراء بشؤون السيارات على أنه لولا مهارة جلالته الفائقة فى قيادة السيارات وما يبديه من رباطة الجأش وضبط النفس فى المواقف الدقيقة الخطيرة لما انتهى حادث اصطدام سيارته فى « القصاصين » بسلام ، ولكن جلالته

استطاع بمهارته وسرعة خاطره أن يتفادى الخطر الأكبر بالنتيجة التى خرج بها وهى أقل نتيجة كان يمكن أن يسفر عنها الاصطدام الشديد الذى حدث

وكانت أول عبارة قالها الملك المؤمن عند مبادرتهم إلى نقله من مكان الحادث : « عفوك يا رب » .

***

ولما زار جلالته بورسعيد[١] رسمياً انتهت الزيارة برحلة باليخت الملكى « المحروسة » من بورسعيد إلى الإسماعيلية ومن هناك ركب جلالته القطار « الديزل » إلى القاهرة

والذين لا ينظرون إلا لمظهر الأمور بدت هذه الرحلة البحرية كأنها نزهة أراد المليك أن يتمتع بها ترويحاً للنفس بعد عناء الزيارة الرسمية

غير أن الذين تشرفوا بمرافقة جلالته فى اليخت الملكى رأوا أنه إذا كان هناك رجل واحد لم يتمتع براحة ما فى أثناء هذه النزهة فهذا الرجل هو الملك . . .

(١) فى شهر مارس ١٩٤٤

فقد سأله قائد بحرية جلالته ليلة مغادرته بورسعيد عن الموعد الذى يأمر بأن يبحر فيه اليخت الملكى من مرفاه ، فكان رد جلالته : « الساعة السادسة صباحاً إن شاء الله ، ويكون الناس فى تلك الساعة نائمين أو لا يزالون فى بيوتهم فلا نكلفهم مؤونة المجىء إلى المرفأ لتوديعنا »

ولما علم بعض رجال الحاشية أن اليخت الملكى سيبحر فى الساعة السادسة صباحاً استغربوا ذلك وقالوا إن صوت آلات اليخت عند إبحاره سيزعج جلالة الملك فى تلك الساعة المبكرة فلا يستطيع النوم بعد ذلك

ولم يكن الذين تبادر إليهم هذا الظن يعلمون ما سيعمله الملك عند فجر الغد . . . بل قبل أن ينبثق الفجر . . .

فقد استيقظ بعض منهم فى نحو الساعة الخامسة صباحاً وارتدوا ملابسهم بسرعة ليكونوا على ظهر اليخت قبل الساعة السادسة فيشاهدوا منظر اليخت عند خروجه من المرفأ

وظنوا وهم يصعدون الدرج المؤدى إلى ظهر اليخت أنهم لن يلقوا سوى ضباطه ورجاله . . .

ولكن كم كانت دهشتهم عظيمة لما أبصروا جلالة الملك واقفاً

فى حجرة المراقبة فى أعلى اليخت ببدلته البحرية يشرف ، وقد امتلأ نشاطاً ، على إجراءات إبحار اليخت

وبعد ما أبحر اليخت قضى جلالته معظم الساعات الخمس التى استغرقتها الرحلة فى الرد على تحيات الجنود والعمال والأهلين الذين احتشدوا على ضفتى القنال ليحظوا باجتلاء طلعته الكريمة ولو عن بعد

***

وأذيع فى أواخر شهر مارس الماضى (١) أن جلالة الملك سيقصد باليخت الملكى الخاص « فخر البحار » إلى البحر الأحمر فى رحلة بحرية تستغرق أياماً للراحة والاستجمام

فإنه على أثر شفاء جلالته من حادث السيارة الذى حدث له وعودته إلى القاهرة من « القصاصين » نصح له الأطباء بتبديل الهواء فترة من الزمان بعيداً عن مهام الملك وأعبائه ، فلم يصغ يومئذ إلى نصيحتهم لأن بعض تلك المهام والأعباء كان يقتضى وجوده فى العاصمة ومنها استقبال الوفد اللبنانى

---

(١) مارس سنة ١٩٤٤

ثم أرجأ رحلته بسبب زيارته لأعلى الصعيد على الرغم من إلحاح الأطباء عليه بعدم السفر

وعاد فأرجأها مرة أخرى إلى ما بعد زيارته الرسمية للقصاصين وبورسعيد .

ثم عين جلالته موعد رحلته البحرية

ولكنه ما كاد يصعد إلى اليخت الملكى حتى فاجأ الذين كانوا بمعيته بأن الرحلة لن تكون رحلة راحة واستجمام كما قيل ، بل ستكون ، قبل كل شىء ، رحلة علمية للارتياد والاستطلاع

وقطع جلالته ١٥٦٨ ميلا بحرياً فى أربعة عشر يوماً ، زار فى خلالها الجزر الصخرية التى فى خليج السويس ليستقصى بنفسه عن مقدار ثروتها المعدنية ، وزار كذلك الجزر التى فى خليج العقبة ، وزار فى طريق عودته البلاد التى على شاطىء البحر الأحمر كالغردقة وسفاجة والقصير

واغتنم جلالته فرصة وجوده فى سفاجة فقطع بالسيارة نحو خمسمائة كيلومتر تفقد فيها آبار الماء فى تلك المنطقة وأخذ عينات منها لتحليلها كيماوياً ، وأشار بما يجب عمله لإصلاح حالة تلك الآبار خدمة للعربان الذين يشربون منها ، وفى كل مكان نزله جلالته

كان يأمر بتوزيع الأقمشة والكساوى والسكر والشاى على فقرائه

وصادف اليخت الملكى زوابع وعواصف قوية حتى ظن أن جلالته سيأمر بعدم إتمام الرحلة ، ولكنه أبى تعديل شىء من برنامجها ، فقد أراد أن يطبق على رحلته البحرية ما يطبقه على رحلاته الصحراوية وهو أن يعيش عيشة الجنود وأن يختبر بنفسه هذه المعيشة فى جميع أطوارها

وليس أدل على الصبغة الدمقراطية التى تصطبغ بها رحلاته من أنه لما عرج على « العقبة » وطاف أرجاءها وقابل حاكمها ووزع الأقمشة والكساوى على فقرائها لم يفطن أحد إلى حقيقة شخصه على نحو ما ذكرته الصحف فى حينه ، فقد حسبوه كبيراً مصرياً لا أكثر ، ولم يكن يهم جلالته أكثر من أن يذكر اسم مصر بالخير والثناء !

الفصل الثالث

كثرة معلومات جلالته
وحبه للاطلاع والقراءة

ولما عدت من أسوان بعد تشرفى بلقاء جلالة الملك فيما سألنى كثيرون الأسئلة التقليدية التى توجه إلى المرء فى مناسبة كهذه

قلت لهم إن الله حبا ملكنا بتلك القوة الخفية العظيمة التى تجذب إليه القلوب، وكلما ازددت شرفاً بمعرفته ازددت تعلقاً به فلا غرو إذا سمى الملك المحبوب

وتسمع أن جلالته يعرف كثيراً ، وأنه يعى أشياء كثيرة ، وتقرأ فى تصريحات كبار الأجانب الذين يتشرفون بمقابلته أنه يبهرهم بحديثه ويدهشهم بمعلوماته — كل ذلك صحيح ولكنه أقل من الحقيقة والواقع

وكنت فى شهر ديسمبر الماضى [1] أتغدى على مائدة دولة سعد الله الجابرى بك رئيس الوزارة السورية فى دمشق مع بعض الوزراء والنواب والزملاء السوريين، فجاء ذكر جلالة الملك

(١) ديسمبر سنه ١٩٤٣

فقال دولته للحاضرين : «لا أخفي عليكم أنني قبل أن أتشرف بمعرفة الملك فاروق كنت أظنه ملماً بما يتسنى لملك كثير المشاغل أن يلم به لا أكثر ، فلما تشرفت بمعرفته أدهشني بطلاوة حديثه وغزارة معلوماته سواء كان ذلك فى الشؤون الداخلية أم فى الشؤون الخارجية ، وبهرني بما يعرفه عن بلادنا ومراحل قضيتها وبما يعلمه عن رجالنا واحداً واحداً وعن دقائق أحوالنا المحلية ، فاذا تحدثت عن جلالته بما يطابق إعجابي به شعرت بشيء من الخجل خوفاً من أن يقول الذين يصغون إلى حديثي إنني أبالغ فى الوصف ، والواقع أني مهما وصفت وأطنبت فلست قادراً على الإعراب عما تركه جلالته فى نفسي ولذلك أؤثر عدم الكلام »

والذين يعرفون دولة سعد الله الجابري بك يعرفون عنه أنه ليس من الرجال الذين يتأثرون بسهولة كما أنهم يعرفون عنه أن اختلاطه بالكبراء والعظماء ليس حديث العهد فيقال إن مقابلاته لملك مصر بهرته ، وهو من جهة أخرى لم يشتهر بالسخاء فى كيل المديح والإطراء للكبراء والعظماء فيقال إنه تحدث عن الملك فاروق باللهجة التي ألف الناس سماعها منه عن كل ذي سلطان أو صولجان

وعلى ذكر جلالة الملك ودولة سعد الله بك يطيب لى هنا أن أنوه بحادث طريف قد يكون صغيراً فى نفسه ولكنه عظيم المغزى لمن يتأمل فى دلالته

ففى خلال أحد أحاديثهما أوصى جلالة الملك كبير وزراء سوريا خيراً بأصحاب فندق « أوريان بالاس » وهو الفندق الوطنى الكبير فى دمشق، فقد سر جلالته أن يقدم بعض الوطنيين على إنشاء أكبر فندق فيها، ولكنه علم أن إيراد الفندق لا يغطى جميع نفقاته مع أن جميع الآراء التى سمعها متفقة على أنه خليق بالتشجيع والمساعدة ، فأكبر دولته هذا الشعور فى جلالته ووعد بأن يعير الموضوع ما يستحق من عناية

ولما عاد سعد الله بك إلى دمشق وذهب إلى فندق « أوريان بالاس » قابله صاحبه عند مدخله فما كاد دولته يلمحه حتى قال له : « وحتى أنت يعرف الملك فاروق عنك ! »

* * *

أما فيما يتعلق بأحوال مصر بالذات فالحقيقة هى أن الملك يعرف عنها أكثر جداً مما نظن وهو محيط بشؤون البلاد والشعب أكثر جداً مما يتبادر إلى الذهن وأؤكد أنه يعرف عن

مصر ما لا يعرفه عنها كثيرون من المشتغلين بالشؤون العامة

قال لى مرة معالى احمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى إنه كثيراً ما يذهب إلى الملك بمعلومات وهو يظن أنها لم تصل إلى علم جلالته بعد فيجده محيطاً بتفاصيلها أكثر منه

ولما تشرفت بمعرفة جلالته ظهر لى أن ما أفضى به إلىّ حسنين باشا هو الحقيقة بعينها خالية من كل مبالغة

فالملك فى حرصه على خير بلاده ورفاهية شعبه يتتبع أحوالها بعناية بلغ من فرط تدقيقه فيها أن كل كبيرة وصغيرة فى شؤون المملكة تلقى ما هى جديرة به من التفاته واهتمامه

بل إن الواقع يجاوز ذلك

فقد يسألك جلالته سؤالاً ما فتردد فى الجواب عنه أو تحاول أن تجاوب جواباً مقتضباً عاماً ، أو سطحياً مجملا ، فيفاجئك جلالته بما ينم على أن الحقيقة ليست غريبة عنه ، فتسائل نفسك من أين لجلالته كل ما يعلمه ؟

وليس فى ذلك سر فإن بعض الناس يتوهم أن الملك المقيم فى قصره لا يرى من مصر كثيراً ولا يعلم عن أحوال مصر إلا ما يصل إلى سمعه أو ما يقرأه فى التقارير التى ترفع إليه ، ولكن

الذين يتوهمون ذلك يخطئون خطأ عظيماً ، فالملك دائم الاختلاط بشعبه و إن لم يفطن الناس دائماً إلى شخصه ، وكلما سمح له وقته بالخروج من القصر متنكراً فعل ذلك ، وقد يركب أول مركبة يصادفها فى طريقه و يطلب من سائقها أن ينطلق بها فى الأحياء الوطنية ، وهناك يعكف على درس حالة الطبقات الفقيرة — هذه الطبقات التى لم تفتأ تلقى من عطفه و بره ما يعجز البيان عن وصفه

ومن ذلك أنه قابل مرة الأستاذ حامد جودة وزير التموين فى وزارة دولة حسين سرى باشا و بحث معه شؤون التموين بحثاً وافياً أدهشه ، ولكن دهشة الوزير كانت أعظم لما قال له جلالته إن الرقابة ضعيفة فى السلخانة ، و إنه ذهب بنفسه إلى مكان يشاهد منه المواشى التى تدخلها فتبين له أن الأمر الخاص بأن يقتصر الذبح على ذكور المواشى لا يحترم على الوجه المرغوب فيه، ثم قال للوزير إنه عرج على مكان كذا فى جهة كذا فألفاهم لا يخلطون الدقيق بالنسبة التى عيّنها الأمر العسكرى

و يجد جلالته فى قوة بنيته ما يساعده على ذلك فيتعب الجميع ولا يشكو هو تعباً ما ، ففى رحلاته الصحراوية ترى جلالته آخر من يأوى إلى فراشه وأول من يستيقظ مبكراً مع أنه دائماً

أكثر أفراد القافلة حركة ونشاطاً وصعوداً ونزولاً

وفى أسوان كنت أراه فى كل مكان دائب الحركة والنشاط لا يعرف شيئاً اسمه القيلولة ، فهو بعد الغداء مثله قبل الغداء مستعد دائماً للعمل والاطلاع

***

أما فى القصر فشعاره « لا عمل يؤجل إلى الغد » ولو اقتضى ذلك بقاءه فى مكتبه معظم ساعات النهار وجانباً من ساعات الليل

ويندر أن يعرض عليه تقرير أو مذكرة أو بحث من دون أن يسجل عليه قلمه الأحمر ما يدل على أنه اطلع عليه اطلاعاً وافياً واستوفى درسه

ومما يساعده على كثرة الاطلاع أنه سريع القراءة مع التيقظ التام لكل عبارة أو فقرة تستوقف النظر ، وله فى ذلك نوادر كثيرة تدعو إلى الاستغراب العظيم، ومن طريف ما يروى فى هذا الصدد أنهم عرضوا على جلالته مرة مقالاً لأحد الكتاب يصف به حفلة شهدها جلالته ، وكان مما قاله الكاتب إنه كان فى الحفلة «بوفيه على الواقف» فابتسم جلالته وقال بما هو مأثور عنه من سرعة الخاطر : وهل رأى الكاتب « بوفيه » على القاعد ؟ !

ويطالع جلالته الصحف والمجلات الكبيرة بتدقيق تام وهذا عدا القصاصات التى ترفع إليه يومياً ، وفى كل يوم تتلقى مكاتب الديوان الملكى عدة مذكرات من جلالته بأمور يرغب فى الاستفسار عنها أو يريد تفاصيل جديدة فى شأنها تعزز المعلومات التى عنده عنها ، وهى تتصل عادة بمرافق الدولة العامة وشؤون الشعب الحيوية ، فتجمع مكاتب الديوان الملكى البيانات المطلوبة من الجهات المختصة وكثيراً ما تجهل هذه الجهات أن الملك نفسه هو المهتم بالموضوع إذ لا يتبادر إلى أذهان القائمين بالأمر فيها أن وقت جلالته يتسع لذلك كله ، ومن الأمثلة التى تحضر لهذه المناسبة أن جلالته قرأ مرة فى بعض الصحف أن بعضهم شكا إليها من أن وزن الرغيف بالإسكندرية أقل من وزنه بالقاهرة ، فأمر بالاستفسار عن هذا الخبر ، أصحيح هو أم غير صحيح ؟ فإذا كان صحيحاً فما الباعث على هذا التفاوت فى وزن الرغيف فى العاصمتين ، ومن هذا المثال البسيط يستطيع القارىء أن يدرك مدى تتبع جلالته لأحوال البلاد ، ومقـدار عنايته بتحرى جزئيات شؤونها العامة ولا سيما إذا كان لهذه الشؤون صلة بحياة الشعب اليومية

وإذا كان لجلالته شكوى من المكاتب التى يتألف منها الديوان الملكى فهذه الشكوى هى أن هذه المكاتب لاترفع إليه البيانات أو التقارير التى يطلبها منها بالسرعة التى يريدها ، مع ما يسود تلك المكاتب دائماً من نشاط ولكن أنى لنشاطها أن يجارى نشاطه فإنه إذا انهمك فى عمل ما وخشى أن تحول أعمال الغد دون تمكنه من الرجوع إليه خصص به السهرة كلها ولو ظل ساهراً معظم ساعات الليل

***

ويطلع جلالته بانتظام على طائفة كبيرة من الصحف والمجلات الغربية فيحيط بتقدم الحضارة والعلوم والفنون إحاطة مستمرة ، وهو يتلقى فوق ذلك قصاصات من جميع المقالات والأخبار التى تنشر عن مصر فى الخارج

وجلالته شغف عظيم بالكتب تجلى فيه منذ حداثته ، ولما كان فى انجلترا كان ينفق جل ماله على اقتناء الكتب ، وفعل جلالته مثل ذلك لما زار فرنسا وسويسرا ، فاجتمعت عنده مكتبة خاصة كبيرة من ذلك الحين ثم أخذت تنمو على مر الأيام ، وهى اليوم تملأ عدة حجرات كبيرة برمتها فى الجناح الذى أفرده لها فى

قصر القبة ، ويتولى بعض الموظفين تنسيقها وتبويبها بإشراف جلالته ، وللكتب العربية من كل نوع نصيب وافر فيها

ولا يكتفى جلالته باختيار أحسن الكتب التى تصل إلى المكتبات الكبيرة فى مصر بل يترقب بشوق ما يرد من النشرات التى يتلقاها تباعاً من أشهر بيوت النشر فى الخارج عن أحدث مطبوعاتها فى شتى الفنون والعلوم والشؤون فيرسل فوراً فى طلب ما يقع عليه اختياره منها ، وبهذه الكيفية يتتبع جلالته كل جديد مفيد ، يساعده على ذلك ما يتمتع به من ذاكرة قوية وبديهة حاضرة

حدث عند تشريفه المطار الأمريكى الكبير بزيارته لمناسبة رحلته الجوية إلى الإسكندرية (وسيجد القارىء حديثاً عن هذه الرحلة فى فصل تال) أن دعاه القائد الأمريكى إلى مشاهدة طائرة حربية من نوع جديد ، وقبل أن يشرع الضابط المختص فى توجيه نظر جلالته إلى الجديد فى تلك الطائرة كان جلالته يحدثه عنه حديث الخبير المطلع ، وفى تلك اللحظة رأيت ضابطاً أميركياً ينظر إلى زميل له نظرة من يقول له : « ليس هناك جديد لا يعرفه هذا الملك »

ولما اشترى جلالته أخيراً اليخت الملكى « فخر البحار » سمعته يتحدث حديثاً طويلاً عن أشهر اليخوت فى العالم وتاريخها والفوارق التى بينها ، وأؤكد للقارئ أن جلالته لو كان يقرأ حديثه فى كتاب أمامه لما جاء أكثر من ذلك طلاوة ودقة ، وكان سعادة السيد نعمان طاهر سيمن وزير تركيا المفوض حاضراً فذكر اليخت الذى كان للمغفور له الغازى كمال أتاتورك فانتقل جلالة الملك حالا إلى التنويه بأهم مميزاته

ومن المعلوم أنه ليس لمصر فى بلاد كالبرازيل مصالح تذكر ومع ذلك قال لى سعادة المسيو باربوزا كارنيرو وزير البرازيل المفوض فى مصر إنه لما تشرف بمقابلة جلالة الملك لأول مرة بعد تقديم أوراق اعتماده أدهشه جلالته بوفرة معلوماته عن البرازيل

ثم قال لى سعادته : ومن مدة قصيرة مر بمصر وزير المكسيك المفوض فى روسيا وهو دبلوماسى ومحدث قدير فبعد ما تشرف بمقابلة جلالة الملك فاروق جاءنى يقول : « لقد أذهلنى حديث الملك عن المكسيك فكأنما عرفها وأقام بها »

ومما يدل على شدة اهتمام جلالته بمطالعاته أنه لما اتسعت ميادين القتال فى روسيا وقفت سيارة خاصة مساء ذات يوم أمام

مكتبة شهيرة فى وسط العاصمة ونزل منها ضابط بملابس الطيران وسأل عن خارطة كبيرة لروسيا فأطلعوه على عدة خارطات فاختار بعضها ودفع ثمنها وانصرف

و بينما كان يهم بركوب سيارته عرفوه فقالوا : جلالة الملك

وكان جلالته فى حاجة إلى هذه الخارطات ليتتبع عليها أنباء سير القتال فذهب إلى المكتبة واشتراها بنفسه

ومن ألطف ما سمعته عن ولع جلالته بالقراءة أنه لما كان يطلب العلم فى انجلترا وهو أمير لاحظ عليه رائده أحمد محمد حسنين باشا أنه بعد ما يدخل حجرة نومه يطيل السهر فى المطالعة ، فوجه نظره إلى ذلك واتفق معه على الساعة التى يترك فيها سموه الكتاب ويطفىء نور الحجرة ، ولكن معاليه لم يلبث أن لاحظ بعد أيام أن فترة المطالعة فى السهرة كادت تعود إلى عهدها السابق فصنع لمصابيح حجرة سموه مفتاحاً يصل شريطه إلى حجرته هو فاذا حل الموعد الذى عينه لنهاية المطالعة أطفأ أنوار حجرة سموه من حجرته ، وكان معاليه يرضى من وقت إلى آخر أن يمد الموعد نصف ساعة إذا طلب منه سموه ذلك

و بعد ما نفذ حسنين باشا هذه الخطة ظن أن فى استطاعته

أن يطمئن إلى أن سموه ينام فى الموعد الذى عيّنه فلا يكاد معاليه يدير المفتاح الذى عنده و يطفىء الأنوار حتى ينام ملء جفنيه

غير أنه حدث بعد مدة أن استيقظ حسنين باشا مرة فى ساعة متأخرة وخرج من حجرته فخيل إليه أنه يلمح نوراً منبعثاً من حجرة الأمير وأن النور انطفأ فجأة فى اللحظة التى فتح فيها باب حجرته ، فلما أصبح الغد لم يكاشف سموه بما استوقف نظره لئلا يكون قد توهم أنه رأى نوراً فى حين أن لا نور هناك

وانقضت فترة أخرى من الزمان ، وفى ذات ليلة استيقظ حسنين باشا اتفاقاً مرة أخرى وأراد أن يذهب إلى مكتبه فما كاد يفتح باب حجرته حتى انطفأ نور كان يتسرب من حجرة الأمير ، فدهش لذلك دهشاً عظيماً ولكنه لم يقل لسموه شيئاً لما التقى به فى الصباح فقد أراد أن يكتشف السر بنفسه قبل أن يخاطبه فى الأمر

و بعد أيام كان الخدم ينظفون حجرة الأمير وقد وقف سموه ينسق بعض حاجاته الخاصة فمرّ بهم حسنين باشا ولما أبصر الأمير حياه ودخل الحجرة وفى خلال حديثه معه حانت من معاليه التفاتة إلى أعلى خزانة الملابس فلمح على سطحها مجموعة من

البطاريات الكبيرة لتوليد النور وكان سموه قد اشتراها ليستعيض بها من الكهرباء مادام رائده يأبى عليه السهر والقراءة بعد ساعة معينة، فلم يتمالك حسنين باشا من الضحك ولكنه أوعز بنقل تلك البطاريات من مكانها ، ورضى الأمير بنقلها متبرماً

* * *

والفاروق فى حبه للاطلاع متعدد النواحى ، بل يمكن أن يقال إنه ليس لشغفه بالاستزادة من الاطلاع حد ، فكل شىء يستحق الاهتمام يهمه و يلذ له ، فى الفنون وفى العلوم على السواء . والأغرب من ذلك أنه يجد لكل ضرب من ضروب هوايته وقتاً ، وقليلون يعلمون مثلاً أن المتحف الحربى الخاص الذى أنشأه المغفور له الملك فؤاد فى قصر عابدين غدا فى عهد الفاروق متحفاً عظيماً يضم بين جوانبه مخلفات كثيرة لا مثيل لها فى متاحف أخرى ، وهو إلى جنب ذلك شديد الشغف بدرس النقود القديمة وعنده مجموعة نفيسة منها ، ويعنى جلالته عناية كبيرة بتكملة مجموعةِ طوابع البريد الثمينة التي خلفها له والده العظيم ، وعنده مجموعة نادرة من الساعات القديمة على اختلاف أنواعها ، و إذا كنت أنوه بذلك فليس التنو يه على سبيل الحصر بل على سبيل المثال للدلالة على تعدد النواحى

التى يشغل بها جلالته نفسه فى أوقات الفراغ والترويح عن النفس

ومما سمعته مرة عن جلالته فى هذا الصدد أنه لما كان فى سويسرا قدم أحد الأجانب إلى رجال الحاشية مجموعة من المداليات القديمة وقال إنه يرغب فى بيعها لملك مصر وكان عددها أربعة آلاف مدالية

ومع أنه لم يكن بينها سوى ١٥٠ مدالية تستحق الذكر أمر جلالته بشرائها كلها مساعدة للرجل فاشتروها وأدخلوها عليه وهم يظنون أنه سيرجىء الاهتمام بها إلى حين عودته إلى مصر

ولكن فى صباح اليوم التالى علموا أن جلالته سهر الليل بطوله حتى الساعة السادسة صباحاً فى « جلاء » تلك المداليات وتنظيفها مع ثلاثة من أمنائه الخصوصيين ، فلما تشرف رائده بمقابلته قال له : « ارفع هذا الغطاء يا باشا » فرفع حسنين باشا الغطاء فأبصر أربعة آلاف مدالية تلمع أمامه فقال جلالته عندئذ باسماً : « والآن يمكننا أن نختار النفيس منها »

ولا يكاد جلالته يجد شيئاً ينفع مؤسسة مصرية حتى يقتنيه من الجيب الخاص ويرسله إليها : وفى متحف سكة الحديد ومعهد

الأحياء المائية فى الاسكندرية وغيرهما من المؤسسات المصرية العامة شواهد كثيرة على ذلك

وما دخلت مرة المتحف الحربى إلا قال لى أمينه إنه تلقى هبة جديدة من جلالته فأضافها إلى هباته السابقة المتعددة سواء أكان ذلك أسلحة أم كتباً عسكرية نادرة

وكان جلالته جالساً على شرفة الفندق بأسوان فجاءه أحد رجال الحاشية يقول إن بالباب رجلاً معه تمساح يروم بيعه لجلالته

فقال بعض الحاضرين : وما ذا يريد مولانا من التماسيح ؟

أما جلالته فقال : هل يريد الرجل بيع التمساح إرضاء لنا أم لحاجته إلى المال ؟

فقال الرسول : لحاجته إلى المال يا مولاى

فقال جلالته على الفور : لا تردوه إذاً ، بل اطلبوا منه أن ينتظر عودتنا من رحلتنا فى الصحراء ثم اشتروه منه وأرسلوه إلى حديقة الحيوان فى الجيزة فيستفيد الرجل وتستفيد الحديقة

وكثيراً ما يصل إلى مسامع جلالته أن بعض التحف والطرف ستباع فى مزاد علنى وأنه يخشى أن تتسرب إلى الخارج فيوفد

إلى حيث المزاد من يشتريها له باسمه لا لحاجته إليها فى معظم الأحيان بل ليطمئن على بقائها فى مصر

وهو بدافع من هذا الشعور نفسه يشترى من أوربا أشياء كثيرة يرى أن مصر أولى بها من كل بلد آخر مهما يكلفه ذلك من مال و إن كانت ظروف الحرب قد حدت من هذه المشتريات طبعاً ، ومن الأشياء التى جمعت من أوربا بهذه الكيفية مجموعة من الصور التاريخية الملونة النادرة للوحدات التى كان الأسطول المصرى يتألف منها فى عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير

الفصل الرابع

دمقراطية جلالته
وجولاته وزياراته غير الرسمية

لمازرت أنقرة فى سنة ١٩٣٤ دعانى السيد شكرى قايا وزير الداخلية التركية إذ ذاك إلى العشاء فى مطعم « كاربتش » وهو مطعم معروف لكل من زار العاصمة التركية الكمالية وقد أنشأه أحد الروس البيض كما كانوا يسمونهم فى ذلك الحين فلم يلبث أن أصبح ملتقى أقطاب الحكومة التركية والنواب ورجال السلك السياسى وسيداتهم وأصدقائهم .

و بينما كنا نتجاذب أطراف الحديث فى أثناء العشاء فتح باب المطعم ودخل رجلان لم يستوقف دخولهما نظرى لأنهما دخلا كما يدخل سائر الناس ولم أتبين ملامحهما لأن طوق معطفيهما كان مرفوعاً إلى أعلى ولأنهما اتجها بسرعة إلى مائدة خالية ، فالتفت إلىّ شكرى قايا وقال لى : « أتعلم من هو أحد الرجلين اللذين مرا بنا من لحظة ؟ » وعندئذ حدقت النظر فيهما فعرفت فى أحدهما حالاً الغازى كمال أتاتورك وقد جاء ليتعشى مع أحد أصدقائه كما

يجئ الناس جميعاً ، واحترم الحاضرون رغبة معروفة عنه فلم ينهض له أحد ولم يسلم عليه أحد ، وحدثنى وزير الداخلية فقال إن الغازى يكثر من التردد على هذا المطعم وعلى بعض الأندية والمحال العامة بصفة غير رسمية و بالبساطة التى رأيناه بها فى تلك الليلة حتى إن الزائر الغريب لا يشعر بوجوده إلا إذا نبهه أحد إلى ذلك لأنه يأبى عند ما يخرج بصفة غير رسمية أن يحاط بمظاهر المراسم التقليدية

وبعد قليل تلقى شكرى قايا إشارة بأن يذهب إلى مائدة الغازى ، ولما انصرف نخامته دعانى الوزير إلى زيارة نادى الأناضول وهناك كذلك وجدنا الغازى جالساً فى إحدى حجراته مع بعض المقربين إليه ، ومضى شكرى قايا فى حديثه عن رئيسه فقال: إن الغازى يسبب لى تعباً شديداً لأنه يذهب إلى كل مكان عام يطيب له الذهاب إليه بدون أن يصحبه حرس ، فاليوم هنا وغداً فى السينما و بعد غد فى القهوة المجاورة لمزرعته التى رأيتها أمس و إذا علم أن رجالى يتبعونه غضب غضباً شديداً

وفى اليوم التالى ليوم مقابلتى الرئيس عصمت إينونو دعانى صديق تركى إلى مشاهدة سباق الخيل فرأيت الرئيس عصمت

جالساً فى مقصورته فدعانى إليها ثم قال لى : « ما رأيك إذا ألقينا نظرة على الجياد التى ستشترك فى السباق؟ » وغادر فخامته مقصورته إلى المكان الذى عرضوا فيه الجياد وكان مزدحماً بالناس فشق طريقه بينهم وهو بدون قبعته من غير أن يفطن كثيرون إلى شخصه ولا أن يجرؤ أحد على توجيه نظرهم إلى وجوده بينهم ، وذلك عملاً بتعليماته عند ما يخرج بصفة غير رسمية ، واحترم مواطنوه مشيئته كما احترموا مشيئة الغازى فلم يزعجه أحد بتحية فى غير وقتها أو بحديث فى غير محله

وزار « دوق وندسور » مصر لما كان لا يزال ولياً للعهد وكانوا يسمونه « برنس أوف ويلس » وكان شقيقه المرحوم « دوق كنت » يرافقه فى الزيارة التى نتحدث عنها هنا فأعربا يوماً عن رغبتهما فى تساق الهرم الكبير فقيل لهما إن تسلقه لا يخلو من مشقة وخطر فأصرا على رأيهما وذهبا إلى الأهرام ببدلتين عاديتين حتى إذا وصلا إلى المكان الذى كان الدليل ينتظرهما فيه نزعا البنطلون الطويل وتسلقا الهرم الكبير « بالشورت » بسرعة أدهشت جميع الحاضرين

وكنت بلندن فدعانى المستر عبد الله فيلبى المستشرق

المعروف إلى زيارته فى ناديه وهو من أشهر الأندية الأنجليزية وبينما كنا جالسين فى إحدى قاعاته أقبل البرنس أوف ويلس مع ياوره فانتظرت أن ينهض الجالسون فى القاعة احتراماً له فلم ينهض أحد وقال لى المستر فيلبى : « هذا أميرنا » ولم يقل أكثر من ذلك واستمر فى حديثه كما استمر جميع الحاضرين فى أحاديثهم كأنهم لا يعرفون ولى العهد ، ولكنى قلت لمضيفى : « ألا تقفون عند ما يجيء البرنس أوف ويلس ؟ » فابتسم وقال : « كلا . لأنه هو لا يريد ذلك وكل ما هنالك أنه إذا أقبل على ركن من أركان النادى ليجلس فيه نهض الجالسون فى ذلك الركن تحية له فيرد لهم التحية وينتهى الأمر عند ذلك فلا يخاطبه أحد إلا إذا أراد سموه مخاطبته ولا يسلم عليه أحد إلا إذا أراد سموه أن يسلم عليه »

وفى براغ عاصمة تشكوسلوفاكيا رأيت الرئيس مازاريك يخرج من قصر رياسة الجمهورية وحده ممتطياً صهوة جواده ليتنزه فى حدائق براغ العامة وكان فخامته يومئذ قد جاوز السبعين

والذين يعرفون المستر كوتريل من رجال السفارة البريطانية السابقين فى مصر — وهو الآن فى السودان — يعرفون أن

قرينته من أبرع لاعبات «التنس» وهى تحتفظ بصور فوتوغرافية صورت لها ولجلالة الملك جوستاف ملك السويد الحالى وهما يلعبان التنس معاً فى الريفييرا بفرنسا فإنه كثيراً ما كان جلالته يتردد على تلك البقعة العالمية الشهيرة ويختار للعب التنس معه أبرع اللاعبين واللاعبات غير متقيد بالقيود الرسمية بحال ما

وذات مرة رأيت جلالة الملك البرت ملك البلجيك جالساً على مقعد خشبى فى حديقة عامة جنباً إلى جنب مع المسيو هيمانس السياسى البلجيكى الكبير دون أن يخطر لكثيرين من الذين كانوا يمرون بهما أن هذا الرجل الذى يجلس تلك الجلسة المتواضعة هو ذلك العاهل العظيم وأن الرجل الآخر الذى كان يدخن سيجارته فى أثناء حديثه معه هو المسيو هيمانس

ومن المأثور عن جلالة الملك كرستيان ملك الدنمرك أنه كثيراً ما يرى راكباً دراجته أو جواده فى شوارع كوبنهاجن أسوة بالسواد الأعظم من أفراد شعبه

وفى انجلترا نفسها وهى البلاد التى اشتهرت بالتقاليد يذهب جلالة الملك جورج السادس وجلالة الملكة اليزابث إلى دور السينما والتمثيل العامة كلما خطر لهما أن يفعلا ذلك ، ومن مدة غير بعيدة

جاء فى التلغرافات أن كريمتيهما الأميرة اليزابث والأميرة مارى روز اشتركتا فى حفلة تمثيلية أقيمت للترفيه عن الجنود

وكان المغفور له الملك فيصل الأول أول ملك عربى قاد سيارته بنفسه فى جـولاته وتنقلاته غير الرسمية وكثيراً ما شـاهده البغداديون يقود سيارته ببغداد ولا يرافقه أحد من رجال حاشيته سوى ضابط من ضباط ياورانه ، ولما سافر إلى أوربا بحراً فى سنة ١٩٣٣ نشرت المجلات المصورة صوراً كثيرة تمثله وهو يلعب لعبة « دك تنس » (التنس على ظهر المركب) مع بعض المسافرين بالباخرة عينها من سيدات ورجال وقد نزع سترته وعلقها بنفسه على عمود من الأعمدة الخشبية على ظهر المركب فكانت دمقراطيته وروحه الشعبية موضع إعجاب الجميع وثنائهم

نرى من ذلك أن الحكام أدركوا أن لكل زمان أحكامه ومقتضياته ، وأن الحاكم الرشيد هو الذى يعرف كيف يسايرها فلا يدعها تملى عليه مشيئتها فإذا سايرها أمكنه أن يكبح جماح الطفرة بين شعبه وأن يوجهها توجيهاً معتدلاً يوفق بين ما يجب المحافظة عليه من التقاليد القديمة والتحول الاجتماعى الذى لا يمكن إغفاله ولا سيما فى الأوقات التى تعقب الحروب لما تحدثه هذه الحروب

عادة من تغيير فى الأوضاع الاجتماعية

وأذكر أنه لما تقرر سفر جلالة الملك إلى انجلترا فى طلب العلم كان رجاء كثيرين من رائده معالى أحمد محمد حسنين باشا أن يبذل أقصى ما يمكنه بذله ليتشرب جلالته بالروح الدمقراطية والشعبية الصحيحة فيشب محباً للاختلاط بشعبه قريباً من رعاياه، فما كاد جلالته يعود إلى مصر حتى بادروا إلى الاستفسار من حسنين باشا عما لاحظه من استعداد مليكهم الشاب من هذه الناحية فكان معاليه يقول لهم : « اطمئنوا فان مليكنا دمقراطى بفطرته وإذا كنت قد احتجت إلى بذل مجهود فى هذا الصدد فالمجهود كان لأجل حثه على التقليل من دمقراطيته »

ومما رواه حسنين باشا لهذه المناسبة أنه بينما كان جالساً يوماً فى مكتبه فى القصر الذى نزل فيه « الأمير » فاروق فى انجلترا جاءه من يقول إن الأمير غير موجود فى القصر وإن سموه لم يقل لأحد إنه سيغادره ، فاستغرب معاليه غياب سموه وأمر الخدم بالتدقيق فى البحث عنه فقالوا إنهم بحثوا عنه فى جميع أرجاء القصر ولكن عبثاً وإنهم لم يلمحوه فى الحديقة كذلك، فاتجه معاليه إلى باب القصر الخارجى ليسأل البوليس الواقف هناك هل رأى

الأمير خارجاً، ولشد ما كانت دهشته لما رأى سموه واقفاً يتحدث معه عن أحواله الخاصة وعن حياة رجال البوليس فى انجلترا بوجه عام

ومن بواعث الاغتباط أن جلالة ملكنا نشأ مشبعاً بهذه الروح ، روح الدمقراطية والشعبية الصحيحة ، وعرف أن هذا الزمان أكثر من أى زمان آخر يقضى بأن يتصل رأس الدولة بجميع طبقات شعبه اتصالا وثيقاً ليعرف عنها أكثر ما يمكنه معرفته وليحيط بأحوالها إحاطة مباشرة تامة وليكون صلة الاتصال بين ما يجب المحافظة عليه من تقاليد الماضى وما يجب الأخذ به من التحول الاجتماعى الجديد وهو التحول الذى قلت عنه فى فقرة متقدمة إنه لا يمكن إغفاله ،و بذلك يدفع عن شعبه خطر الطفرة

فكثيراً ما يخرج الفاروق من قصره بسيارته الخاصة وهو يقودها بنفسه ، وكثيراً ما يتنقل فى أرجاء المملكة بقطاره الصغير الخاص (الديزل) لكيلا يكلف البلاد مؤونة القطر الرسمية الكبيرة وما تقتضيه الأسفار الرسمية من مراسم وتدابير ، وكثيراً ما يتردد فى غير أبهة ولا حرس على الجهات التى ينقب فيها العلماء عن الآثار القديمة ليتفقد سير العمل

فى الكشف عنها ، وكثيراً ما يغشى بعض المنتديات العامة وخصوصاً فى فصل الصيف فيقضى فيها بعض الوقت ترويحاً عن النفس، وهناك يراه الناس جالساً إلى مائدة عادية كسائر الموائد ، يأكل من الطعام المعد لرواد المكان جميعاً ، أو يشرب كوباً من عصير البرتقال أو « الكازوزة » — فجلالته لا يحتسى الخمر — أو من القهوة المثلجة وهو يدخن غليونه أو سيجارته وقد يدخن سيجاراً من وقت إلى آخر

وقد يدعو جلالته إلى مائدته بعض الحاضرين من الذين يعرفهم شخصياً فيدور الحديث على شؤون شتى ، وفى مثل هذه الجلسات البعيدة عن قيود الرسميات وتقاليـد القصور تتجلى دمقراطية جلالته بأجمل مظاهرها ، ويتجلى معها مدى اطلاعه الواسع على شتى الأمور والشؤون

قال لى مرة ضيف شرقى كبير وقد أخذه العجب مما رآه فى جلالته فى إحدى تلك الجلسات : « إنكم يا معشر الكتاب تصفون لنا ملك مصر فى مواقفه الرسمية فلماذا لا تصفونه فى جلسة كهذه حيث تتجلى عظمته الشخصية قوية ، رائعة ، فياضة ، فى أطار بديع من الدمقراطية الصحيحة . . . لقد كنت

إلى هذا اليوم أحترم ملككم، أما الآن فانى أحترمه وأحبه معاً»

ومن المصادفات اللطيفة أن جلالة الملك جورج الثانى اليونانى وجلالة الملك بطرس الثانى اليوغسلافى كانا يتعشيان ذات ليلة منفردين فى منتدى مشهور على طريق الأهرام فقلت فى نفسى إنها تكون مناسبة جميلة لو أقبل جلالة ملكنا وتعشى هنا الليلة كذلك . . . و بعد دقائق رأيت جلالته داخلا المكان بتلك البساطة التى تزيد جولاته غير الرسمية رونقاً و بهاء ، فاجتمع ثلاثة ملوك فى منتدى عام واحد

و بعد ذلك بأسبوع مر بالقاهرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله ولى عهد العراق والوصى على عرشه فأمضى سهرة اليوم الذى وصل فيه فى ذلك المنتدى عينه فكان ذلك أيضاً مظهراً لتحول جديد . واتفق فى تلك الليلة وجود عدد غير يسير من الكبراء المصريين والأجانب ورجال السلك السياسى فسروا بمشاهدة سموه كما سروا قبل ذلك بأيام بمشاهدة صاحب السمو الملكى الأمير بول ولى عهد اليونان

و يندر أن تقام حفلة خيرية كبيرة لمشروع إنسانى جليل أو لمؤسسة مصرية خيرية أو اجتماعية تستحق الرعاية الملكية

بدون أن يشرفها جلالته بحضوره إما بصفة رسمية أو بصفة غير رسمية معاضدة لها وحثاً للناس على تشجيعها وتأييدها ، وفى الحالتين يأبى جلالته أن يخصص به مكان ممتاز ، بل يجلس إلى مائدة عادية كسائر الحاضرين مع بعض رجال حاشيته وضيوفه ، كأنما يريد أن يشعر كل فاعل خير بأن الملك يقدر صنيعه قدره وأنه فى تقديره الذين يبرون بالفقراء لا يميز كبيرهم من فقيرهم . ألم يقل جلالته فى إحدى المناسبات : « إن الملك يكرم كل من يكرم الفقير . ؟ ثم يطوف جلالته أرجاء المكان كأنه واحد من الناس جميعاً ، و بصحبته واحد من رجال الحاشية لا أكثر، كأنما يريد جلالته أن يحيى جميع الحاضرين وأن يشكرهم و إن لم يخاطبهم ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن الناس قدروا هذا الروح حق قدره وعرفوا مع اغتباطهم بدمقراطية جلالته ، وعلى الرغم من نشوة الفرح التى تستولى عليهم عند ما يرونه بينهم ، أن يسلكوا من بدء الأمر المسلك الذى يطابق إرادته ويتمشى مع رغبته فلا يقف أحد لتحية جلالته إذا لم يبادره هو بالتحية ، ولا يتقدم أحد للكلام مع جلالته إذا لم يدعه هو إليه ، فقد علم الناس من اللحظة الأولى أن جلالته يريدهم أن يتمتعوا بحريتهم ولا يشاء

أن يكون وجوده بينهم فى مثل هذه المجتمعات سبباً للحد من هذه الحرية بحال ما ، فمن حقه عليهم أن لا يتوسلوا بدمقراطيته ليعكروا صفاء هذا الاختلاط الجميل بين الملك وشعبه

* * *

وليس أدل على شدة تقدير جلالته لضباط جيشه من أنه يفاجىء ناديهم بزيارته من وقت إلى آخر فيتعشى مع من يتفق وجوده منهم ويقضى معهم السهرة فى جلسة عائلية كأنه واحد منهم

وكنت مدعواً لتناول العشاء فى نادى ضباط الجيش فى مساء يوم من شهر فبراير الماضى ، وكانت داره حافلة بالضباط من جميع الرتب، وفى نحو الساعة الثامنة والنصف لمحت أحد الضباط الشبان يهرول إلى حجرة جلس فيها سعادة الفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش مع بعض لواءات الجيش الحاليين و بعض كبار زملائهم المتقاعدين ويقول : «جلالة الملك شرف» نخفوا لاستقبال جلالته ، وفى أقل من لحظة سرى النبأ فى أرجاء النادى كله

وكان جلالته مرتدياً بدلة القائد الأعلى للجيش ، وهذه البدلة و بدلة القائد الأعلى لسلاح الطيران هما البدلتان اللتان يطيب

لجلالته أن يلبسهما فى معظم الأيام اعتزازاً بجيشه وتقديراً لرجاله ، و بعد ما صافح مستقبليه اتجه إلى قاعة الاستقبال الكبرى وعلى وجهه أمارات السرور والارتياح ، و بعد ما تحادث مع كبار الضباط الحاضرين قليلاً أبدى رغبته السامية فى مشاهدة جميع الضباط الذين اتفق وجودهم فى النادى على اختلاف رتبهم ، فما كادت هذه الرغبة الكريمة تذاع بينهم حتى أقبلوا مسرعين ، فرحين، ووقف جلالته فى وسط القاعة يستقبلهم و يصافحهم واحداً واحداً وقد ارتسم على محياه الوضاح كل ما كان جلالته يشعر به من غبطة فى تلك الساعة ، وكان الفريق عطا الله باشا يقدم كل واحد باسمه واسم السلاح الذى ينتمى اليه ، وحدث عند تقديم أحدهم أن قال عطا الله باشا : « فلان كان فى سلاح كذا والآن . . . » ولم يكمل عبارته فظل جلالته مستوقفاً الضابط إلى أن عرف منه السلاح الذى نقل اليه

وكان الضباط يدخلون القاعة الواحد تلو الآخر فى صف طويل بلا تفريق بين رتبهم فقد أصدر جلالته نطقه السامى بأن يكون الاجتماع عائلياً من جميع الوجوه لا مراسم فيه ولا قيود ، ولما فرغ جلالته من مصافحتهم جميعاً أخذ يحادث كبار الضباط

الحاليين والسابقين ثم قال لهم : « والآن تفضلوا نأكل معاً » وسار فى طليعتهم إلى قاعة الطعام الكبرى فتصدر المائدة التى أعدت لجلالته وجلس إلى يمينه الفريق ابراهيم عطا الله باشا فالفريق حسن حسنى الزيدى باشا فبعض لواءات الجيش الحاليين والسابقين ، وجلس إلى يساره الفريق عمر فتحى باشا فلفيف آخر من الضباط الحاليين والسابقين

وجلس سائر الضباط الحاضرين إلى الموائد التى نثرت فى القاعة المجاورة ، وحانت من جلالته التفاتة فلاحظ أن الخدم أسدلوا الستائر التى تفصل بين القاعتين فأمر برفعها حالاً لتظل القاعتان متصلة إحداهما بالأخرى وليشعر الجميع بأنهم جالسون فى صعيد واحد

ولما جاءوا لجلالته بأول لون من ألوان الطعام سأل : هل هذا الطعام هو طعام النادى المعتاد وهل هو الطعام الذى سيقدم للحاضرين جميعاً ؟ فأجاب عطا الله باشا بالإيجاب وقال سعادته : « إننا لم نستطع يامولاى أن نحضر صنفاً زائداً غير الحساء » فقال جلالته باسماً : « ولذلك لم أتناوله » ولم يكن جلالته قد ذاقه فعلاً .

ثم التفت جلالته إلى الأميرالاى فهمى على بك سكرتير

النادى وقال له : « أوعوا تكونوا ناويين تاخدوا ثمن العشاء من الحاضرين الليلة . . . . إنهم جميعاً ضيوفى » فقال فهمى بك : « سمعاً وطاعة » فقال جلالته مداعباً : « بس أوعوا تفضلوا ساكتين لغاية ما يدفعوا ثم تبلغوهم أنهم ضيوفى . . . »

وكانت هذه المداعبة اللطيفة فاتحة حديث اشترك فيه كثيرون من الذين نالوا شرف الجلوس إلى المائدة الملكية وقد دار جانب كبير من هذا الحديث على الرماية والصيد وعلى أنواع البندقيات القديمة والحديثة ، فدهش الحاضرون جميعاً لمعلومات جلالته الفنية عن هذه الأمور كلها ولإحاطته بأشياء كثيرة لا يحيط بها غير الفنيين المتفرغين لها والاختصاصيين المطلعين على أسرارها

وكان جلالته يسأل الفريق عطا الله باشا بين حين وآخر عن شؤون الجيش ولا سيما ما يتعلق برفاهية الجنود وراحتهم

ولما انتهى العشاء عاد جلالته إلى قاعة الاستقبال الكبرى ، وكأنما أراد أن يعزز الروح العائلى الذى ساد هذا الاجتماع فلم يجلس على الكرسى الكبير المخصص به فى النادى بل جلس على مقعد عادى ، وأذن للحاضرين فى الجلوس حوله ، ثم أقبل سائر الضباط ووقفوا عند مدخل القاعة لعدم وجود أماكن فيها لهم

جميعاً فلم يشأ جلالته أن يظلوا كذلك فقال لهم بروحه الدمقراطية العظيمة : « تعالوا ر بعوا هنا » فأسرعوا وجلسوا على السجاد « متر بعين » جماعات فى ذلك الجو العائلى الذى أنشأه جلالته وأضفى عليه من فيض مكارمه روح البهجة والسرور

فى تلك الساعة تذكرت صفحة قرأتها فى كتب التاريخ عن ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير وكيف كان يطيب له من وقت لآخر أن يمضى السهرة فى وسط ضباط جيشه فى جو عائلى خال من المراسم والقيود التى يقتضيها مقامه وها هو ذا الفاروق يقتدى بجده الأكبر ويكتب إلى جنب تلك الصفحة المجيدة صفحة مجيدة جديدة

صفحة عنوانها « الملك فى وسط جيشه »

الملك المعتز بجيشه ، الفخور به ، والجيش المعتز بمليكه ، المخلص لذاته ، المتعلق بعرشه

واستمرت هذه الجلسة العائلية حتى الساعة الحادية عشرة ،وقد مرت الساعتان كأنهما دقائق بما أسبغه المليك عليها من صفاء ورعاية

ونهض جلالته فنهض الجميع ، فودعهم بقوله :« السلام عليكم و إن شاء الله أراكم جميعاً بخير دائماً »

الفصل الخامس

غيرة جلالته على الدين وهو فى الوقت
عينه يبرز ما فى الإسلام من تسامح

رأينا فى الفصل السابق أن جلالة الملك يريد أن يكون صلة الاتصال بين ما تجب المحافظة عليه من تقاليد الماضى وما يجب الأخذ به من التحول الاجتماعى الجديد

فأقول هنا إنه بينما قضى جلالته من جهة على كثير من التقاليد البالية والتى كان محكوماً عليها بالزوال لأنها لم تعد تطابق روح الزمان الذى نعيش فيه ، عمل من جهة أخرى لتعزيز التقاليد التى يرى وجوب المحافظة عليها وفى مقدمتها كل ما يرفع من شأن الدين ويعلى مقامه فى النفوس

ففى معظم أيام الجمعة يخرج جلالته فى موكب رسمى لتأدية صلاة الجمعة فى الجوامع التى يعينها بنفسه ، وهو يختار عادة الجوامع القديمة لأن ذهابه إليها يهيىء لوزارة الأوقاف فرصة حسنة لإصلاحها كما يهيىء لمصلحة التنظيم ظرفاً ملائماً لترميم الطرق

المؤدية إليها ، وهذا عدا عشرات الجوامع التى وضع جلالته حجر الأساس فى بنائها

ويصغى جلالته بعناية وخشوع تامين للخطب التى تلقى فى المساجد التى يصلى فيها، وهو فى كل مرة يصافح الخطيب ويهدى إليه شالا نفيساً من الكشمير ، وقد حدث غير مرة أن عانق الخطيب وقبله بدافع من شعورهه الدينى الجميل

ولما زار جلالته « اسنا » فى أثناء رحلته الأخيرة إلى أعلى الصعيد ليتفقد حالة منكوبى الملاريا حرص على تأدية فريضة الجمعة فى جامعها الكبير ، فنمى إليه أن الأعيان وحدهم هم الذين سيدعون إلى الصلاة معه ، فأصدر أمره الكريم بأن تفتح أبواب الجامع للأغنياء والفقراء على السواء ، وبعد ما دخل جلالته الجامع وأخذ مكانه بجوار المنبر استمر الشعب فى هتافه فلم يشأ جلالته أن يرتفع فى تلك الساعة صوت باسم غير اسم الله عز وجل فأوفد أحد ضباط الياوران إلى خارج المسجد ليطلب من الجماهير المحتشدة فى الطرق المؤدية إليه أن تكف عن الهتاف

ولم يكتف جلالته بتعزيز التقاليد التى تحيط الدين بكل ما يجب له من إجلال ، بل أنشأ من التقاليد الجديدة ما يصف

أصدق وصف ما يعمر به قلبه الكبير من إيمان عظيم ومنها تقليد الاستماع إلى الدروس الدينية التى يلقيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى خلال شهر رمضان المبارك ، ولكن لعل أعظمها شأناً هو التقليد الذى أوجده فى شهر يناير سنة ١٩٤٢ لما أمر بأن يكون الاحتفال بالعام الهجرى الجديد احتفالا دينياً عاماً وأن يكون له ما للأعياد الرسمية من مقام وجلال

وترسمت الحكومة رغبات جلالته فقررت أن يكون الاحتفال بهذا العيد احتفالا رسمياً عاماً فى جميع بلاد المملكة ، فيطلق ٢١ مدفعاً فى العواصم والبنادر التى جرت المراسم بإطلاق المدافع فيها بمناسبة الأعياد الرسمية للدولة ، وتقام فى قاعدة كل محافظة وعاصمة كل مديرية حفلة دينية يرأسها المحافظ أو المدير ، وتكون هذه الحفلة فى أكبر مساجد المدينة حيث يلقى خطيب المسجد أو أحد حضرات العلماء حديثاً عن الهجرة النبوية ، وكذلك تقام أمثال هذه الحفلة فى كل مركز وقرية فيرأس المأمورون والعمد هذه الحفلات فى المساجد ، وتعهد وزارة

الأوقاف إلى خطباء مساجدها فى الأقاليم فى التحدث إلى المحتفلين عن هذه الذكرى التاريخية .

وما كادت الرغبة الملكية السامية تذاع حتى بادرت جميع الهيئات إلى تحقيقها فتعددت الاحتفالات بإحياء ذكرى الهجرة النبوية الشريفة وفى مقدمتها الاحتفال الكبير الذى أقيم فى نادى ضباط الجيش .

وكان سعادة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا وزيراً للأوقاف لما أنشأ جلالة الملك هذا التقليد التاريخى الجليل الشأن فأفضى إلى الصحافة بالتصريح التالى :

« لا يمكن أن تقابل هذه السنة الحسنة الملكية إلا بأعظم شكر من جميع المسلمين فى أقطار العالم الإسلامى، فقد كادت السنة الهجرية لعدم اتصالها بشؤون الحياة المادية تمر بالناس غير محسوس بها

« وطبيعى أن تكون الحياة التى يحياها العالم الآن مغموراً بالشهوات والمطامع والتنافس على أعراض الحياة الدنيا مبعدة عن المعانى الروحية السامية

« والسنة الهجرية إنما هى رمز للتضحية بالنفس والمال لله وفى سبيل الله

« ولم يكن العالم فى حاجة إلى ما يذكره بالله وبالتضحية فى سبيله أكثر مما هو اليوم فلا غرو أن يكون توجه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول إلى إحياء ذكرى الهجرة النبوية الكريمة فى يوم رأس السنة الهجرية مظهراً بالغ الدلالة على رغبة جلالته فى أن يحيى فى قلوب الناس المعانى الدينية السامية التى تخفف من حدة المطامع الدنيوية وتسمو بالنفوس إلى المثل العليا التى صورها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً فى سبيل الله »

وفى كل عام يرأس جلالته الاحتفال الكبير الذى يقام فى عاصمة المملكة إحياء لذكرى المولد النبوى الشريف، وبعد ما يستمع إلى القصة النبوية الشريفة يعرض وحدات الجيش، ومما هو جدير بالذكر هنا أنه عند ما يجىء ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى أثناء تلاوة القصة النبوية المجيدة يقف جلالته إجلالاً لصاحب الذكرى وإكباراً فيحذو جميع الحاضرين حذوه

ولما بنيت مدينة الجيش فى ضاحية « ألماظة » أوعز جلالته

إلى جهات الاختصاص بضرورة بناء جامع للجيش فى مدينته ، فنفذت الرغبة الملكية و بنى الجامع وصلى فيه جلالته أول مرة فى يوم ٥ من فبراير سنة ١٩٤٣ محاطاً بكبار الضباط العاملين والمتقاعدين

ولأن الملك فاروقاً قوى الإيمان و يعتز بدينه هذا الاعتزاز كله نراه من جهة أخرى يحرص حرصاً شديداً على إبراز ما ينطوى عليه الإسلام من روح التسامح مثبتاً أن هذا الدين يستطيع أن يعيش مع سائر الأديان فى وفاق ووئام

ومن ذلك أنه لما كان جلالته يجوب الصحراء الشرقية فى شهر يناير سنة ١٩٤٣ عرج على دير سيناء المعروف بدير « سانت كاترين » ولما انتهت زيارته له تفضل وتبرع للدير بأر بعمائة جنيه ، فقابل الرهبان هذه المنحة بالشكر والدعاء وقال راهب منهم همساً : « هذا كرم من ملك المسلمين » فسمع الملك ذلك فالتفت إليه باسماً وقال له : « إننى ملك المصريين جميعاً »

وعلقت يومئذ جريدة كبيرة على هذا الخبر بقولها : « فهنيئاً لمصر بملك صالح متدين هذا شعاره عند ما ينظر إلى جميع رعاياه على اختلاف أديانهم وطوائفهم فلا يهمه منهم سوى أنهم

مصريون فيشملهم جميعاً برعايته وعطفه ، فالدين لله والوطن للجميع والملك للمصريين جميعاً »

وجلالة الملك بسيره على هذه السنّة الحميدة يسير على سنن جده الأكبر ساكن الجنان محمد على باشا الكبير لا فى مصر وحدها بل في جميع البلدان التى امتد إليها حكمه فى وقت ما ، حتى إنه لما استرد جيوشه من سوريا كتب المسيو باتون قنصل فرنسا إلى حكومته يقول : « إن حكم محمد على كان العهد الذهبى للمسيحيين فى سوريا »

ومحمد على باشا الكبير الذى وضع أسس هذه السياسة الرشيدة البعيدة النظر هو محمد على الذى أبى قبول ما عرضته فرنسا عليه وهو أن تشترك معه فى حملته على طرابلس والمغرب الأقصى والجزائر فى مقابل مساعدة عظيمة تسديها إليه فى المال والسفن والعتاد الحربى فقال لها وهو يرفض اقتراحها : « إنه لا يستعدى بلداً أجنبياً على مسلمين مثله »

ولكن محمد على كان يرى من جهة أخرى أن عطفه على المسيحيين لا يقلل من غيرته على دينه ، بل كان يرى فى هذا العطف مظهراً جميلاً لفضائل الإسلام ولما انطوى عليه من روح

التسامح والإنسانية ، فكفل للمسيحيين حقوقهم وحرياتهم وحقق لشعبه وحدة ما زال ينعم بها إلى الآن

وسار أبناؤه وحفدته على سياسته فنجت مصر بحكمة هذه السياسة من مشكلة اسمها الأقلية أو الأقليات ، فلما انبثق فجر الحركة الوطنية رأينا الهلال يعانق الصليب فكان مظهراً من أروع مظاهر هذه الحركة المباركة ، وصورة من أبدع الصور لاتحاد العنصرين وتآلفهما فى خدمة الوطن

وتفضل المغفور له الملك فؤاد فتوج هـذه السياسة برعايته وتشجيعه ، فكان كل مصرى ينال من هذه الرعاية ومن هذا التشجيع ما يستحقه بغضّ النظر عن ديانته أو مذهبه

وما كاد المرحوم الأنبا يؤنس بطريرك القبط السابق ينتخب بطريركا حتى أهدى إليه الملك فؤاد صورته الكريمة ممضاة منه ، فكانت لفتة ملكية سامية تضمنت معانى كثيرة

ومن بواعث الغبطة والسرور أن تتجلى هذه الروح النبيلة فى حفيد محمد على الكبير وابن فؤاد العظيم ، وقد قابلت الطوائف المسيحية كلها ، فرحة ، جذلة ، ما قاله جلالته فى دير سيناء بما يستحقه من تمجيد وتقدير ، لا لأن ما قاله جلالته كان مجهولا منها

بل لأنه جاء معززاً لما هو مأثور عنه فزادها ذلك غبطة وسروراً ، ففى الوقت الذى تلقى فيه الأديان ما تلقى فى كثير من أنحاء أوربا يقف ملك مسلم عظيم يحكم أكبر بلد إسلامى فى الشرق العربى فيقول : « إننى ملك المصريين جميعاً » فما أروعها عظة !

ولما تشرف نيافة المطران جوين مطران الإنجليكان فى مصر والسودان بمقابلة جلالة الملك فاروق فى أواخر الصيف الماضى[1] بمناسبة عودته من الخرطوم جاء فى سياق الحديث ذكر الكاتدرائية الإنجليكانية فى جهة قصر النيل بالقاهرة ، فنوه المطران الإنجليزى بما لقيه مشروع إنشاء هذه الكاتدرائية من عطف المغفور له الملك فؤاد وخصوصاً فيما يتعلق بنزول الحكومة عن الأرض التى بنيت عليها

وبعد ذلك بأيام تشرف نيافة الدكتور جاربت رئيس أساقفة يورك بمقابلة جلالة الملك بمناسبة مروره بمصر فى طريق عودته من روسيا وهو فوق مقامه الدينى العظيم فى انجلترا يعد من كبار رجال الفكر والاجتماع فيها ، فأعجب المليك بحديثه كثيراً

وعلى أثر عودة رئيس أساقفة يورك إلى دار المطران جوين

(١) فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣

وهى ملاصقة للكاتدرائية بلغهما أن جلالة الملك سيتفضل بزيارة بناء الكاتدرائية ، فخفا إلى استقباله بما يليق بمقامه السامى ومعهما مطران بلومفنتين وكبار مساعديهما ، وقد أخذتهم روعة فكرة هذه الزيارة ونبلها ، وكان بمعية جلالته الدكتور حسين حسنى بك السكرتير الخاص

وطاف جلالته بأرجاء الكاتدرائية مبدياً اهتماماً بالناحية المعمارية والفنية فى بنائها ، وباللوحات التذكارية التى زينت بها ، شأنه فى كل ما يمت إلى العلم والفن بصلة

وبينما كان جلالته ينعم النظر فى نوافذ البناء وقف أمام نافذتين منها طليت قضبانهما وأجزاؤهما بلون البرونز ، ولكن جلالته لاحظ حالا بما له من خبرة فى هذه الأمور أنها ليست من البرونز ، فنقرها بيده فظهر أنها ليست من البرونز فعلا ، وقال المطران جوين إنها ليست من البرونز حقيقة لأن ظروف الحرب حالت دون ذلك وكانوا يجلبونها من انجلترا

ومضى جلالته فى طوافه والدهشة آخذة من الجميع لدقة ملاحظته وسرعة خاطره ، ولما انتهت الزيارة تفضل فشرب الشاى فى

دار المطران مع المطران جوين ورئيس أساقفة يورك وسائر كبار الحاضرين

وبينما كان جلالته يهم بالانصراف التفت إلى المطران جوين وقال له إنه سيهدى إلى الكاتدرائية القضبان والأجزاء اللازمة لتينك النافذتين وإنها ستصنع فى مصر وبأيدى صناع مصريين، فقابل نيافته ونيافة رئيس أساقفة يورك هذه الروح السمحة والمنحة الكريمة بالشكر الجزيل

وقال المطران جوين إن هذا اليوم يوم تاريخى فى حياته

وقال رئيس أساقفة يورك إنها أعظم تحية وجهت إليه

وانصرف جلالته بعد ذلك مودعاً بمثل ما قوبل به من مظاهر التجلة والاحترام . وفى الغد ذهب رئيس أساقفة يورك إلى قصر عابدين وكتب اسمه فى سجل التشريفات مكرراً شكره وعظيم إعجابه بما تحلى به جلالته من روح التسامح

وإن الذين زاروا كنيسة القديس بولس فى روما يذكرون حتما أن أول شىء كان الدليل يحدثهم عنه هو أن الأعمدة الكبيرة التى يشاهدونها عند بابها الداخلى هى هدية من ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير إلى البابا

وفى متحف الفاتيكان غير هدية واحدة أهداها محمد على باشا الكبير فى مناسبات شتى إلى باباوات روما

وقد أراد منشىء مصر الحديثة بذلك أن يكشف للغرب عما فى الاسلام من روح التسامح وأن يعزز اطمئنان الأقليات المسيحية إلى الحكم الإسلامى

فالملك فاروق بما عمله سار على نهج والده العظيم وأجداده الأكرمين ، فقد أحيت الأسرة العلوية الكريمة سنن الخلفاء الراشدين الذين كانوا يأمرون باصلاح كنائس رعاياهم وذكّرت الناس بما أبداه صلاح الدين من تسامح كان الأوربيون أول المشيدين به وهو التسامح الذى ظل شيمة العرب فى الأندلس على منوال يذكره الاسبان إلى اليوم بالإعجاب والإكبار

***

ولا يضارع جمال هذا التسامح الدينى إلا ما يبديه جلالته من تقدير للأجانب الذين يثبتون صداقتهم لمصر وولاءهم للبيت المالك ويخدمون العلم خدمة صادقة منزهة عن كل غرض ذاتى

ولعل إنعام جلالته على القاضى كرابيتس الأميركى بوسام اسماعيل من الطبقة الثانية بعد وفاته فى شهر اكتوبر الماضى

يبرز جمال هذه العاطفة أكثر من كل مثال آخر

فانه لما أصدر القاضى كرابيتس كتابه عن المغفور له الخديو اسماعيل باشا تبادر إلى الأذهان أن المغفور له الملك فؤاد هو الذى كلفه الكتابة عن والده ، ولكن الحقيقة التى يعرفها المطلعون تنقض ذلك نقضاً تاماً

فقد كان القاضى كرابيتس يريد أن يؤلف كتاباً عن الأميركيين الذين خدموا فى الجيش المصرى، فاستأذن جلالة الملك فؤاد فى الاطلاع على بعض المحفوظات الملكية فأذن له فى ذلك

و بينما كان يراجع تلك المحفوظات وقف على كتب كتبها اسماعيل باشا إلى الجنرال غوردون يحثه فيها بالحاح على القضاء على النخاسة فى السودان ، ورأى فى هذه الكتب حقائق كثيرة كانت مجهولة عن اسماعيل باشا مع أنها كلها فى مصلحته فأوحت إليه هذه الحقائق بأن يترك مؤقتاً موضوع الأميركيين الذين خدموا فى الجيش المصرى ويتجه الى درس المجهول من اسماعيل باشا على ضوء المحفوظات الملكية

وقال القاضى كرابيتس لجلالة الملك فؤاد وهو يستأذنه فى الاطلاع على الوثائق التى يحتاج إليها أنه سيدرسها كقاض فاذا

اعتقـد أن اسماعيل باشا مظلوم فعلاً وضع كتاباً عنه بنتيجة دراسته فأجابه جلالته إلى طلبه

وما كاد ينتهى من درس الوثائق التى طلبها حتى آمن بأن أور با افترت على اسماعيل باشا فعوّل على الكتابة عنه وقرر أن يكون اسم الكتاب « اسماعيل المفترى عليه »

وعلى أثر ظهور الكتاب أراد المغفور له الملك فؤاد أن ينعم عليه بوسام تقديراً لشعوره ومجهوده فشكر لجلالته هذا العطف السامى ورجا منه العدول عن هذه النية لئلا يقال إن الوسام ثمن للكتاب

وللقاضى كرابيتس كتاب آخر عن « ابراهيم باشا » وكتابات كثيرة عن مصر تدل على أنه كان صديقاً مخلصاً لها

وعلى أثر نشوب الحرب الحالية كتب بعض المجلات الغربية كتابات تضمنت كثيراً من أنواع الافتراء ، فانبرى القاضى كرابيتس للرد عليها من تلقاء نفسه بما ينم على ما كان يكنه من إخلاص شديد للبيت المالك الكريم ولصاحب العرش العظيم ، فكان لتلك الكتابات وقع كبير فى نفس كل من اطلع عليها

وفى أواخر سنة ١٩٤٣ مر جنابه بمصر فى طريقه إلى بغداد

واضحاً نشاطه وعلمه وخبرته تحت تصرف حكومته فوافته المنية فيها فقو بل نعيه بأسف شديد من جميع أصدقائه المصريين وكان الملك فاروق فى مقدمة الذين تأثروا لوفاته فتفضل وأبرق إلى أسرة الفقيد معزياً ومواسياً وأصدر أمره بأن يضع القائم بأعمال المفوضية المصرية ببغداد إكليلاً كبيراً من الورد باسم جلالته على ضريح الراحل الكريم ، ولم يكتف جلالته بذلك بل أنعم على الفقيد بوسام اسماعيل لحققت هذه اللفتة الملكية السامية رغبة كان المغفور له الملك فؤاد يريد تحقيقها وأظهرت ما ينطوى عليه قلب جلالته من تقدير ووفاء لكل من يحب مصر ويخلص لها ولعرشها

وليس بين محبى آثار القاهرة الاسلامية من يجهل اسم المسز ديفونشاير فقد كتبت عنها عدة كتب نفيسة باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وهى منذ الحرب العظمى الماضية تنظم جولات أسبوعية لضيوف مصر الأجانب فتطوف بهم أشهر تلك الآثار باسطة لهم كل ما يجب أن يعرفوه عنها، وهذا عدا بحوثها فى المجلات العلمية وفى المجمع العلمى المصرى ، وكان المغفور له الملك فؤاد يقدر علمها ونشاطها حق قدرهما ويستقبلها مرتين فى السنة ويصغى

باهتمام إلى اقتراحاتها عما يحسن عمله لصون تلك الآثار والمحافظة عليها

وفى اليوم الخامس من شهر أبريل الماضى احتفلت المسز ديفونشاير ببلوغها الثمانين ، و بينما كانت جالسة فى دارها تطالع برقيات التهنئة التى تلقتها من عارفى فضلها الكثيرين طرق باب الدار رسول من قصر عابدين ومعه كتاب من معالى أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى يهنئها فيه بعيدها و يبلغها أن جلالة الملك تفضل لهذه المناسبة فأنعم عليها بوسام الكمال من الطبقة الثالثة تقديراً لخدماتها لمصر ما يقرب من نصف قرن .

وقد جاء هذا الانعام دليلاً جديداً على أن جلالته فى تقديره للذين يخدمون مصر لا يعرف للعلم وطناً ، وقابلته الدوائر العلمية بمزيد من الغبطة والارتياح للمعنى السامى الذى دل عليه

الفصل السادس

عطف جلالته على الطبقات العاملة والصغيرة والمحرومة

قص علىّ المغفور له الدكتور محمد شاهين باشا[1] أن عطف الفاروق على القائمين بخدمته وبره بهم تجليا فيه منذ ما كان طفلاً ، فقد كان جلالته يطلب باستمرار نقوداً من مربيته فأرادت يوماً أن تعرف أين تذهب هذه النقود فاتضح لها أنه يوزعها على حارسه وعلى العمال الذين يلتقى بهم فى حدائق القصر ليشتروا بها حلوى لأولادهم !

وسمعت مرة أخرى من أحد ضباط الياوران أن جلالته كان يتنزه يوماً وهو صبى على صهوة جواده فى مكان قريب من قصر القبة فدنا منه شحاذ طاعن فى السن مستجدياً فطلب منه أن يقابله فى الغد فى المكان عينه ، فلما كان الغد ذهب جلالته إلى المكان الذى كان الفقير ينتظره فيـه وأعطاه ما كان متوفراً عنده من نقود .

---

(١) وكان الطبيب الخاص للحضرة العلية الملكية

و بعد ما نودى بجلالته كشافاً أعظم[١] بمدة قصيرة دعته بعض فرق الكشافة إلى تشريف حفلة ساهرة تقيمها فى معسكرها ، ولما انتهت الحفلة و بينما كان «سموه» عائداً إلى القصر العامر بالسيارة الملكية و بمعيته سعادة محمد زكى الابراشى باشا ناظر الخاصة الملكية إذ ذاك التفت « سموه » إلى سعادته وقال له : « أنا مسرور جداً من هذه الحفلة ومما رأيته فيها »

فقال زكى باشا: « الحمد لله يا افندينا فانه يهمنا جميعاً أن تكون دائماً مسروراً »

فقال الأمير فاروق : « ولكن لا يكفى أن أكون أنا مسروراً بل أريد أن أرى الأولاد الذين اشتركوا فى هذه الحفلة مسرورين كذلك ، فماذا أستطيع أن أعمل لهم ؟ »

فقال زكى باشا : « ما يعمله جلالة الوالد »

فقال الأمير فاروق : « وماذا يعمل والدى ؟ »

قال زكى باشا : « يشترى جلالته سنداً من سندات الدين الموحد و يهديه إليهم فيكون ريعه السنوى مكافأة لمن يفوز منهم بالجائزة الأولى »

---

(١) وكان جلالته يلقب يومئذ بأمير الصعيد

فقال الأمير فاروق على الفور: « أرجو إذن يا زكى باشا أن تشترى لى سنداً فأهديه إليهم »

فقال زكى باشا: « حاضر يا أفندينا »

وقبل أن يكمل سعادته عبارته قال له الأمير: « ولكنى أريد منك أن تشترى هذا السند من مالى الخاص فاذا لم يوافق والدى على ذلك فاشتره من مصروف جيبى وقسط على ثمنه »

ولكى تقدر هذه الرغبة وما انطوت عليه من عاطفة سامية عظيمة تقديراً صحيحاً لا بد أن أوضح هنا لماذا قال الأمير فاروق اشتروا السند « من مالى الخاص ».

قال ذلك لأن كل ما كان ينفق على سموه لم يكن من ماله الخاص بل كان ينفق من حساب جلالة والده تنفيذاً لأمر جلالته وهو أن لا يمس مال ولى عهده بتاتاً

وكان الأمير فاروق يعلم ذلك ولذا قال اشتروه « من مالى الخاص » فقد أراد أن يشعر بلذة الجود فأصر على أخذ ثمن السند من ماله الخاص وإلا فليؤخذ من مصروف جيبه ثم يسدده أقساطاً ! . . .

وعرضت هذه الرغبة يومئذ على جلالة الملك فؤاد ففرح بها

فرحاً عظيماً وأمر بتحقيقها فوراً طبقاً لمشيئة ولى عهده

و إن من يرجع إلى دفاتر حسابات جلالة الملك فاروق فى الخاصة الملكية يجد أن أول مبلغ أمر بانفاقه هو ٩٢ جنيهاً ثمن ذلك السند

وكان جلالته يومئذ فى الثانية عشرة من عمره ، و بذلك يكون قد أنفق أول مبلغ من المال فى وجه من وجوه البر والخير

كان همه الأول بعد حضور تلك الحفلة ألاّ يكون هو وحده الذى يفرح بل أراد أن يفرح جميع الأولاد الذين اشتركوا فيها غير مكتف بالفرح الذى شعروا به لما رأوه يشرف معسكرهم

ونما جلالته ونما معه هذا الشعور وهذه العاطفة . شعور التفكير فى غيره ، وعاطفة البر والخير

وما كاد يعتلى العرش حتى تجلى للبلاد من أقصاها إلى أقصاها أن الشعب كله هو محور تفكيره وأن تفكيره الأول قائم على البر والخير

وشعر الفقراء والضعفاء أن الملك يبر بهم ويعطف عليهم

وشعر العمال وصغار الموظفين أن الملك يبر بهم ويعطف عليهم

وتجلى ذلك كله بأجلى مظاهره منذ نشوب الحرب بوجه خاص،

فكان أول ما عمله جلالته أن وجه الكيفية التى تحتفل بها البلاد — حكومة وشعباً — بالأعياد الملكية توجيهاً جديداً جاء مصدقاً لمقدار حدبه الشديد على الطبقات الفقيرة ، فأمر بالغاء الزينات والحفلات على أن يذهب المال الذى تكلفه إلى الفقراء تخفيفاً لضائقتهم ومساعدة لهم فى شدتهم

ومضى جلالته فى هذا التوجيه النبيل السامى فى كل مناسبة سنحت له ، فلم يلبث أن بث فى البلاد روحاً جديدة فى معاملة الطبقات الفقيرة ، وما مشروع « يوم المستشفيات » الجليل سوى أحد مظاهر هذه الروح التى قابلها الناس بمزيد من الاغتباط والسرور ، فعملوا أفراداً وجماعات على تحقيق الرغبة الملكية فعمت مصر هذه الموجة الجميلة المشاهدة الآن من العطف على الفقراء والبر بهم

وكانت التقاليد قد جرت قبـل الحرب على أن تؤدب فى القصر الملكى فى شهر رمضان المبارك مآدب إفطار متعددة لأمراء البلاد وعلمائها ووزرائها وأقطابها وأعيانها ، فلما جاءت الحرب أمر جلالته بالغاء هذه المآدب على أن تحل محلها مآدب تؤدب فى القاهرة وفى سائر مدن المملكة وأرجائها للفقراء والمعوزين على

حساب الجيب الخاص الملكى طول مدة شهر الصوم المبارك ، فقبل أن يحل شهر رمضان بأيام يذهب المحافظون والمديرون إلى قصر عابدين ويتسلمون من معالى رئيس الديوان العالى الاعتمادات المالية اللازمة لهذه المآدب مع رجاء من جلالة الملك بأن يعدوا الفقراء الذين يدعون إليها « ضيوف جلالته » وأن يبالغوا فى إكرامهم والعناية بهم

***

ولما حل شهر رمضان المبارك فى سنة ١٩٤١ أصدر جلالته أمره الكريم بدعوة جميع موظفى القصر على اختلاف درجاتهم إلى الإفطار على المائدة الملكية ، وتفضل فأذن للذين ليس عندهم « ردنجوت » بالحضور بالملابس العادية فبلغ عدد المدعوين أكثر من ٤٥٠ موظفاً شملهم جلالته جميعاً بعطفه ورعايته

وكانت هذه أول مرة يدعى فيها جميع موظفى القصر إلى المائدة الملكية ، أو بعبارة أوضح كانت هـذه أول مرة يدعى فيها غير كبار رجال القصر إلى المائدة الملكية . ومما جدير بالذكر هنا أنه لما أصدر جلالته نطقه الكريم بذلك قال لمن كان فى حضرته من كبار رجال القصر : « أنتم كبار رجال القصر تشهدون

جميع المآدب التى تؤدب فى القصر ، ولكنى أريد أن يكون الذين يجيئون بعدكم هم ضيوفى هذه المرة فيشعر كل موظف فى القصر مهما صغرت درجته أن له فى ذلك نصيباً »

ومن ينعم النظر فى هذه اللفتة الملكية السامية يدرك ما انطوت عليه من معنى نبيل ، فالمسألة ليست مسألة مأدبة تؤدب ويدعى إليها ٤٥٠ موظفاً ثم ينتهى الأمر بذلك ، ولكن المغزى الذى قصده جلالته هو الذى يجب أن يستوقف نظرنا فى هذه المأدبة ، وعندئذ يتبين لنا أن هذه الدعوة كانت فى الحقيقة مظهراً لروح يريد جلالة الملك أن تكون الروح التى تسود علاقات الرؤساء بالمرؤوسين ، وهنا تظهر أهمية المأدبة التى أنوه بها فى هذا المقام تنويها خاصا ، فقد كانت هذه المأدبة درساً اتجه به جلالته إلى رجال الحكم وإلى رجال الأعمال بأن يذكروا الموظف الصغير ولا يغفلوه ، وخصوصا فى الظروف الحاضرة وقد قست عليه مقتضيات المعيشة

إن جلالة الملك أراد بتلك الدعوة وبقوله إنه يجب أن يشعر كل موظف مهما صغرت درجته أن له من عطفه نصيباً أن يرسم للرؤساء ما عليهم من واجب لمرؤوسيهم ، ويوحى إليهم

فى درس صامت بأن البر بصغار الموظفين من الأمور التى تهم جلالته وترضيه

وفى الوقت عينه أمر جلالته الخاصة الملكية بتوزيع مبالغ من المال على العائلات التى أخنى عليها الدهر، فلا يمر عيد الفطر المبارك من غير أن تشعر هذه العائلات به ، وأمر كذلك بتوزيع مبالغ أخرى من المال على كل بيت فقير فى القاهرة وفى الأقاليم لا يستطيع أهله أن يستقبلوا العيد بما يستقبله به الناس عادة

وكان ذلك درسا آخر يلقيه جلالته على الأغنياء والموسرين ، فقد أراد أن يذكرهم بالواجب الإنسانى الذى عليهم للمحرومين والمعوزين فيبذل كل غنى وكل من أنعم الله عليه ببسطة من الرزق ما يستطيع بذله بمناسبة العيد لكى يعم الفرح بالعيد أكبر عدد من البيوت يستطيع تعميمه فيها ، فلا يكون هو وحده الذى يشعر ببهجة العيد، ولا يكون هو وحده الذى يأكل ويشبع، ولا يكون هو وحده الذى يلبس ويتمتع

***

وفى آخر شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ كانت شؤون التموين شغل البلاد الشاغل وخصوصاً فيما يتعلق بالحبوب فقرر دولة

حسين سرى باشا رئيس مجلس الوزراء إذ ذاك أن يعقد جلسة[١] خاصة ببحث هذا الموضوع الخطير من جميع نواحيه

وبينما كان مجلس الوزراء مجتمعاً وصل جلالة الملك إلى دار رياسة مجلس الوزراء بسيارة خاصة وبمعيته معالى أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى وكان قدوم جلالته مفاجئاً

ودخل الملك ومعه حسنين باشا حجرة رئيس الوزراء المجاورة لقاعة اجتماع المجلس ولما علم دولة حسين سرى باشا بقدوم جلالته خف لاستقباله ثم شرف جلالته قاعة اجتماع المجلس وترأسه

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر ارفض اجتماع مجلس الوزراء وعلى أثر ارفضاضه وانصراف جلالة الملك من دار الرياسة أفضى دولة حسين سرى باشا إلى الصحفيين بتصريح قال فيه : لما اطلع جلالة الملك على جدول أعمال مجلس الوزراء ورأى أن شئون التموين فى مقدمة الشئون الهامة التى ينظرها المجلس فى اجتماع اليوم قرر جلالته أن يرئس الاجتماع بنفسه ولما دخل على الوزراء قال لهم: « جئت إليكم لأعمل معكم » ثم مضى جلالته فى حديثه فقال: « ابحثوا ما تريدون بحثه واقترحوا ما ترومون اقتراحه وتناقشوا

(١) يوم الاربعاء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٤١

فيما تودون المناقشة فيه وقرروا ما ترون أن المصلحة العامة تقضى بتقريره — هذا كله أتركه لكم، ولكن الذى أريده منكم جميعاً أن تضعوه نصب عيونكم وأن تجعلوه موضوع اهتمامكم وتفكيركم وبحثكم وقراراتكم هو أنه من العار أن تكون مصر بلاداً زراعية قبل كل شيء وأن لا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها فى قوتها الضرورى فجميع الجهود يجب أن تتجه إلى معالجة هذه الحالة والى بذل أقصى مايمكن بذله لتوفير القوت لجميع طبقات الشعب وخير لمصر أن يشبع أهلها بثمرات أرضهم من المواد الغذائية وأن يأمن الفقراء فيها غائلة الجوع من أن يزيد محصول القطن أملاً فى ربح مشكوك فيه ولايخالجنى شك فى أن وطنية الزراع تأبى أن يجوع أهل البلاد فى سبيل الحصول على ثمن مرتفع للقطن فى يوم من الأيام »

ولا ريب فى أن يوم الأربعاء ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ سيظل يوما تاريخياً أولا بترؤس جلالة الملك لاجتماع مجلس الوزراء لأول مرة فى عهده وثانياً بتشريفه لدار رياسة مجلس الوزراء إذ كانت هذه أول مرة يذهب فيها الجالس على العرش إلى تلك الدار ولمثل الغرض النبيل الذى ذهب جلالته إليها من

أجله ، فإن اليوم الذى يذهب فيه مليك البلاد إلى رياسة مجلس الوزراء بنفسه ويقول لوزرائه لقد جئت إليكم لأعمل معكم فى سبيل رفاهية الشعب — ليوم تاريخى حقيقة

وقد أراد جلالته بالنطق السامى الذى وجهه إلى الوزراء أن تنفذ أقواله إلى ذهن كل زارع سواء أكان كبيراً أم صغيراً فيعلم أن عليه فى أثناء الحرب واجباً قومياً لا مندوحة له عن تأديته وهو واجب زرع أكبر كمية يستطيع زرعها من الحبوب ، وقد كان تفكير جلالته وهو يوصى بما أوصى به متجها قبل كل شىء إلى الطبقات العاملة والفقيرة ، وكأنما جلالته بقوله « ولا يخالجنى شك فى أن وطنية الزراع تأبى أن يجوع أهل البلاد فى سبيل الحصول على ثمن مرتفع للقطن يوماً من الأيام » قد أراد أن يقول إن تلك الطبقات يجب أن تأكل كفايتها . . . يجب أن تعيش لأنه على أكتافها قامت مصر ولأنه بسواعدها تزداد ثروة مصر!

ورأى مجلس الوزراء أن يخلد ذكرى ذلك اليوم التاريخى العظيم فقرر أن تثبت على المكان الذى جلس فيه جلالته ليرئس الاجتماع لوحة ينقش عليها « إنه فى يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ شرف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول رياسة مجلس.

الوزراء ورأس اجتماع مجلس الوزراء لأول مرة » وقد صنعت هذه اللوحة وثبتت فعلاً فى مكانها

و إذا كانت اللوحة لا تذكر السبب الذى من أجله ذهب الفاروق إلى رياسة مجلس الوزراء فإن الشعب يذكره !

***

وهل يستطيع كاتب أن يكتب عن بر الفاروق بشعبه وعطفه على الفقراء والبائسين دون أن يتحدث عن الرحلة العظيمة التى رحلها فى شهر فبراير الماضى إلى أعلى الصعيد وكيف قضى يوم ١١ فبراير ، يوم عيد ميلاده السعيد ، بين المرضى والمنكوبين

وقد كان ملايين من الناس يسألون قبل العيد بيوم : ترى كيف يقضى الملك عيده غداً ؟

قال بعضهم : لا بد أنه ستولم فى قصر عابدين وليمة ملكية فاخرة ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة فيشهدها أعضاء الأسرة العلوية الجليلة

وقال بعض آخر : أتكون الوليمة وليمة غداء أم وليمة عشاء ؟ من المحقق أنها ستكون وليمة عشاء فتتلألأ ألوف من المصابيح الكهربائية وتعكس أنوارها على رياش القصر الغالية البهية

وقال فريق ثالث : والغداء ؟ الأرجح أن يكون الغداء غداء غير رسمى فيغتنم الملك فرصة عيد ميلاده ليستريح من عناء مهامه المتعددة، بينما تكون موسيقى الحرس تعزف فى ساحة القصر

وقال فريق رابع : ألا يخرج الملك فى يوم عيد ميلاده متنزهاً؟... لقد رأينا اليخت « قاصد خير » راسياً فى الجزيرة فلا يستبعد أن يكون جلالته عازماً على القيام بنزهة نيلية

وكذلك تعددت الآراء فى كيف يقضى المليك يوم عيد ميلاده وكان للخيال نصيب كبير فى تصوير ذلك كله

وبينما كانت هذه الآراء تتردد فى المجالس العامة والخاصة كان الملك فى طريقه إلى أعلى الصعيد فى زيارة مفاجئة بعيدة عن جميع المراسم الرسمية

فقد أراد أن يقضى عيده فى زيارة الجهات التى انتشرت الملاريا فيها ليتفقد الحالة بنفسه وليقف بشخصه على التدابير التى اتخذت لإسعاف فقراء الأهلين وإعانتهم

آثر جلالته ذلك على مظاهر العيد، وعلى أبهة ولائم القصور، وعلى فخفخة المراسم التقليدية

ولما قالوا له : وكيف يستهدف الملك لخطر المرض ؟ رد عليهم

بابتسامة المؤمن المتوكل على ربه وقال : « هذا جزء من شعبي العزيز فكيف لا أسعى إليه »

كيف لا يسعى إليه وهو المصرى الأول

وكيف لا يسعى إليه وقد آلى على نفسه منذ ما تسلم العرش أن يكون مع شعبه فى كل وقت وفى كل مناسبة

بل كيف لا يسعى إلى الصعيد وقد كان « أمير الصعيد » قبل أن يكون ملك مصر !

وأتيح لى أن أتشرف بمرافقة ركاب جلالته فى هذه الرحلة مع بعض الزملاء فرأيناه يزور القرى فى يوم عيده ويحادث الفقراء فى أكواخهم والمرضى فى دساكرهم حتى إذا عاد إلى الاستراحة الملكية سمعناه يقول: « إن هذا اليوم من أجمل الأيام التى احتفلت فيها بعيد ميلادى »

وكنا قبل ذلك بقليل قد سمعناه فى خلال طوافه يقول: « إن كل مساعدة تُسدى إلى الفلاح هى مساعدة تسدى إلىّ »

وأبصرناه يطرق باب كوخ فتقول سيدة عجوز : من الطارق ؟ فيقول لها : « أنا فاروق جئت مستفسراً عن حالك » . وشاهدناه وهو يربت على أكتاف الأطفال بعطف وحنان وقد أمسك

طفل بملابس جلالته فصاحت أمه قائلة : « ده الملك يا محمود » وهى لا تصدق عينيها ، ثم خاطبت جلالته قائلة : « كنا عيانين ودلوقتى شفينا وكنا جعانين ودلوقتى شبعنا »

وفى كل مكان زاره جلالته كان يذوق طعام الفقراء والمرضى ليتأكد من جودته

ولم يشأ جلالته أن يبزغ فجر يوم عيد ميلاده من دون أن يكون لفقراء مديريتى أسوان وقنا نصيبهم من بهجة العيد ، فسمعناه يقول ليلة العيد لسعادة مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية إنه يتبرع لهم بعشرة آلاف جنيه

وفى اللحظة عينها تبرع جلالته بألف جنيه «ليوم المستشفيات»

وفى اللحظة عينها كذلك عرفنا أن الملك تبرع بعشرة آلاف جنيه للمسجد الذى سيبنى فى لندن

وأمر جلالته بوضع أحد المنازل الكبيرة فى التفتيش الملكى فى المطاعنة تحت تصرف سيدات الهلال الأحمر ليستعملنه فى عملهن الإنسانى وذلك إلى جنب العيادة الخارجية المجانية الموجودة فى التفتيش

وقال لسيدات الهلال الأحمر فى إسنا ولسيدات مبرة محمد على

فى الأقصر إنه يقدر جهادهن وتضحياتهن ويشكرهن عليها ، وشملهن جلالته بمظاهر عطفه فدعاهن إلى المائدة الملكية ، وركبت كبيرتهن فى إسنا وفى الأقصر فى سيارة جلالته دلالة على ما للعاملين والعاملات فى سبيل الفقراء من منزلة عنده

وكان جلالته واقفاً على شرفة فندق « ونتر بالاس » فى الاقصر قبيل انتهاء الزيارة الملكية لها حين مرت مظاهرة كبيرة من الأهلين وهم يهتفون : « يحيا الملك منقذ الصعيد »

وأبرقت عينا جلالته !

فكانت صورة من أجمل الصور لعظمة العرش الحقيقية . . . شعور الشعب بأن الملك له ، وشعور الملك بأن الشعب له !

الفصل السابع

الملك الرياضي
وروح جلالته الرياضية

فى يوم الأحد ١٤ من فبراير الماضى أقيمت بالقاهرة أول مباراة دولية فى الرماية

وكان معروفاً أن جلالة الملك سيشترك فيها . . . ولكن الدوائر الرياضية كانت تعلم يوم السبت ما تعلمه مصر كلها وهو أن جلالته لا يزال فى أعلى الصعيد يتفقد حالة منكوبى الملاريا فتساءلت كيف يتسنى له أن يشهد المباراة وظن كثيرون أن جلالته عدل عن الاشتراك فيها .

أما جلالته فكان حريصاً على حضور المباراة بدافع من روحه الرياضية العظيمة ، ولا سيما أنها المباراة الأولى من نوعها فى مصر وسيشترك فيها ٩ فرق مصرية وأجنبية فتكون دعاية طيبة لمصر ، وكل شىء ينهض بسمعة مصر يهم جلالته ويتبوأ المكان الأول من عنايته

فلم يكن من جلالته إلا أن غادر الأقصر فى مساء السبت فبلغ القاهرة فى الساعة الثانية من صباح الأحد

وفى الساعة التاسعة والنصف — أى بعد ذلك بسبع ساعات — وقفت سيارة عسكرية صغيرة (جيب) عند مدخل ميدان المباراة ولما نزل سائقها منها تبين للحاضرين أنه جلالة الملك ، وكان مرتدياً بذلة الميدان للسلاح الجوى وقد امتلأ قوة ونشاطاً مع أنه قادم من رحلة شاقة وأنه قضى معظم ساعات الليل فى سفر ، ثم لم ينم بعد ذلك على ما علمنا

وخف كبار الحاضرين إلى استقباله فصافحهم جميعاً مغتبطاً ، ثم تناول بندقيته ووضعها على كتفه وسار إلى المكان الذى يضع فيه المتبارون بندقياتهم بجوار هيئة التحكيم لا فرق بينه و بين سائر الرماة المتبارين

واطلع جلالته على النظام الذى وضع لتسجيل الدرجات التى يحوزها المتبارون ، وكان جلالته يعرف معظمهم فكان إذا التقى بأحدهم بادره بالتحية باسماً وسأله عن حاله وقال له إنه مسرور بلقائه ، ثم يحادثه ملياً فى شؤون المباراة وتفصيلاتها

وكذلك كان جلالته فى خلال كل « فترة استراحة » يطوف

بالحاضرين متنقلا من جماعة إلى أخرى فيضفى عليها من روحه الرياضية العالية ما يبهر الضيوف الأجانب ، وازدادت دهشتهم لما سمعوه يتحدث عن البندقية وأصول ضرب النار ، وعن السلاح بوجه عام ، حديث المطلع الخبير المحيط بأسرار الموضوع الذى يتحدث عنه . . . إن هو ليس ملكاً يحمل البندقية ليتسلى فترة من الوقت ، أو ملكا لا يعرف من البندقية إلا كيفية استعمالها . . . كلا بل رأوا فيه ملكاً يناقش أشهر خبرائهم الحاضرين فى أدق دخائل البندقية وأسرارها و يذكر ما بين أنواع البندقيات من فوارق فنية دقيقة لا يعرفها سوى الخبراء الاختصاصيين ... ومع ذلك فهو دائماً شديد الرغبة فى الاستزادة مما يعرفه ، فها هو ذا يحمل بندقيته و يتجه بها إلى مكان وقوف مدرب الفرقة الأميركية فيستوثق من أمر عنّ له ، و يدور الحديث بينهما طو يلاً . . . هذا ملك وذاك شاو يش . . . ولكن كليهما الآن رياضى فى حلبة رياضية واحدة . . . فلا غضاضة على الملك إذا حادث الشاو يش واستأنس بآرائه . . . إنه بذلك يقيم من نفسه قدوة فى سمو الروح الرياضية ، وفيما يجب أن تكون عليه أخلاق الرياضيين الحقيقية

وجاء دور جلالته فى التمرينات فانبطح على الأرض مع سائر المتبارين جنباً إلى جنب وأطلق بندقيته ، ولما انتهى دوره أقبل عليه بعض الرماة يهنئونه بمهارته مع أنه لم يتمرن فى المدة الأخيرة بسبب كثرة مهامه ، وفى تلك الأثناء كان مدرب الفرقة الأميركية يقول لى : « إنى أعتقد أن جلالته أكبر خبير فى السلاح فى مصر ، وفى كل مرة يحدثنى عن شؤون البندقية أشعر أننى أمام ممتحن خبير لا يقتنع بالردود السطحية » وفعلا أقبل عليه جلالته بعد قليل وقال له : « لقد قلت لى كذا لما سألتك عن كذا فهل لك أن ترينى ذلك عملياً » واتجها معاً إلى مكان المباراة ولم يغادره جلالته إلا بعد ما استوفى جميع أجزاء حديثه الفنى من الناحية العملية

وأزف موعد الغداء وكان الحرس الملكى قد أعد « بوفيها » فى خيام نصبت لهذا الغرض ، وسمعت أحد المراسلين الأجانب يقول لزميله « أتعتقد أن الملك سيأكل معنا فى هذه الخيام ؟ » فقال الآخر : « سنرى » فلما دخلا الخيام أبصرا جلالته واقفاً يأكل من الشطائر « السندوتش » أسوة بالحاضرين جميعاً ، فلا مكان خاص ، ولا مائدة خاصة ، ولا مكان له وحده ،

ولا طعام خاص به ، ولا أوان من القصر ، فقال المراسل الأول لزميله « إنه حقيقة رياضى عظيم »

و بعد الغداء بدأ التمرين الثالث فى « الضرب الخاطف » فاشترك فيه جلالته كذلك ولشد ما كانت دهشة الحاضرين لما أصاب جلالته الهدف خمس مرات من ست فصفقوا اعجاباً

ولما انتهت المباراة ألقى ضابط أميركى كلمة حيا بها المليك وروحه الدمقراطية والرياضية العظيمة ، وأراد المصورون أن يصوروا جلالته متوسطاً أعضاء الفريق المصرى الذى اشترك فى المباراة فقال جلالته لأعضائه « اقتربوا بعضكم من بعض لكى نظهر جميعاً فى هذه الصورة التذكارية » فكانت هذه التحية التى وجهها إليهم جلالته بروحه الرياضية الجميلة أعظم مكافأة لهم على ما بذلوه من جهد فنجحت المباراة نجاحاً عظيماً وكانت دعاية حسنة لمصر بين أعضاء تسع فرق يمثلون جنسيات متعددة و بين أصدقائهم

وكان الملك ، وهو المصرى الأول ، أول المغتبطين بهذه النتيجة فقال للاميرالاى أحمد سالم بك قائد الحرس الملكى وهو يصافحه : « مبروك فقد كانت المباراة موفقة »

ثم لوح جلالته بيده الكريمة لجميع الحاضرين مسلماً وركب سيارته وانطلق بها عائداً إلى قصر عابدين العامر . . . وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة بعد الظهر !

* * *

وقد نشأ الفاروق مولعاً بالرياضة منذ حداثته فهو يسبح بمهارة ، ويجيد الملاكمة ، ولعب التنس ، والسيف ، وقد شغف أخيراً بلعبة الـ (Quilles) — من ألعاب الرماية — فبرع فيها ودربه المغفور له والده على ركوب الخيل وهو لا يزال حدثاً فغدا على مر الأيام فارساً مغواراً وهو إلى جنب ذلك صياد ماهر وقد أشرت فى فصل سابق إلى آثار صيده فى المتحف الذى أنشأه فى المزارع الملكية فى أنشاص فحسبى هنا أن أقول إن فى تلك الآثار وحدها ما ينم على براعته فى الصيد وعندما يخرج جلالته لصيد البط ويحصى أعضاء جماعته عدد الطيور التي وقفوا إلى صيدها فلا بد أن يكون جلالته فى الطليعة دائماً

وقد سمعت جلالته يقول إنه تعلم سوق السيارة وهو فى السابعة من عمره ، واشترى فى أواخر السنة الماضية يختاً خاصاً سماه « فخر البحار » وهو الآن يقوده بنفسه وقد أحب جلالته

هذا الضرب الجديد من الرياضة وأولع به ولا سيما أنه لا يشكو دواراً مهما يكن الجو رديئاً والعاصفة شديدة

وللنهضة الرياضية فى البلاد نصيب كبير من عطفه وتشجيعه وهو يحرص على شهود المباريات الكبيرة تعزيزاً للروح الرياضية بين شباب البلاد ولا سيما إذا كانت المباريات بين وحدات عسكرية فيحضرها بنفسه ويتتبع مراحلها باهتمام عظيم ثم يوزع بيده الكريمة الجوائز على الفائزين وقد استن جلالته تقليداً جديداً للحفلات الرياضية التى يشرفها بحضوره وهو أن يلبس الذين يتشرفون بالجلوس فى مقصورته الملابس العادية بدلا من الملابس الرسمية

ويعرف جلالته كبار الرياضيين فى مصر معرفة شخصية ولبعض منهم منزلة خاصة عنده ، وهم أول من يعلم أنه لم يقم فى البلاد مشروع رياضى يستحق التشجيع إلا كان جلالته فى مقدمة مؤيديه ، وهو فى الرياضة لا يعرف غير الرياضة ، وعنده أن الرياضة كالعلم والإنسانية ليس لها وطن ، وكثيراً ما يتردد جلالته على النادى السويسرى للرماية ويشترك مع أعضائه فى تمريناتهم أو فى مبارياتهم ، وفى شهر ابريل الماضى افتتح جلالته ميدان

الرماية الجديد الذى أنشأه فرع الاسكندرية للنادى السويسرى على الأرض التى أهداها إليه جلالته

وهذا عدا تشجيعه للأندية الرياضية بهباته المالية المتواصلة ، ويشرف جلالته كل سنة الحفلة السنوية الساهرة التى يقيمها النادى الأهلى فى دار الأوبرا الملكية ويتبرع له كل مرة لهذه المناسبة بمبلغ كبير من المال

وهو بوصفه كشاف مصر الأعظم شديد الاهتمام بحركة الكشافة فى مصر ، وليس أدل على مقدار تأييده لحركة المرشدات من موافقته على أن تكون جلالة الملكة مرشدة مصر العظمى .

***

وفى الوقت الذى يكثر فيه الحديث عن مستقبل الطيران بعد الحرب ويتوقع العارفون أن تصبح مصر بحكم إقليمها الجغرافى ملتقى أكبر عدد من الخطوط الجوية — يسجل الكاتب مع الارتياح أن جلالة الملك فاروق فى طليعة من يقدر الطيران وما هو منتظر له من مستقبل باهر بعد الحرب . وكان الجنرال جايلز القائد العام للقوات الأميركية فى الشرق الأوسط يتحدث عن جلالته يوماً فقال إنه لاحظ مع السرور أن الملك مشبع بالميل إلى

الطيران لأنه مما لا ريب فيه أن المستقبل للطيران فمن بواعث الارتياح أن يكون على رأس المملكة المصرية ملك هذا استعداده نحو الطيران

وفى أواخر صيف سنة ١٩٤٣ دعا الجنرال رويس القائد العام السابق للقوات الأميركية فى الشرق الأوسط جلالة الملك إلى افتتاح المطار الذى أنشأه الأميركيون فى ضواحى القاهرة فجاء أكبر مطار لهم فى الشرق الأوسط ، ودعاه فى الوقت نفسه إلى جولة جوية بالطائرة المعروفة باسم C 54 وهى أكبر طائرات النقل فى السلاح الجوى الأمريكى ، وتفضل الملك فقبل الدعوة بشطريها وأتيح لى يومئذ أن أصحب جلالته فى هذه الزيارة وفى الرحلة الجوية التى رحلها إلى الإسكندرية وقد تجلت فيها روحه الرياضية بأجلى مظاهرها

وصل جلالته إلى المطار وهو يسوق بنفسه السيارة العسكرية الأميركية الصغيرة « جيب » وكان الجنرال رويس قد أهداها إليه قبل ذلك بمدة قصيرة ، فأكبر الأميركيون الحاضرون هذه المجاملة من جانب جلالته وكانت موضع حديثهم

ولما بلغ جلالته المكان الذى كان الجنرال رويس ينتظره فيه

مع أركان حربه والمستر كيرك وزير أميركا المفوض السابق فى مصر ترجل من سيارته وصافحهم جميعاً باسماً وكان مرتدياً بذلة القائد الأعلى للسلاح الجوى المصرى و بمعيته الفريق ابراهيم عطا الله باشا ياور جلالته ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى

ودعى جلالته إلى الطائرة الـكبيرة التى أعدت لرحلته إلى الاسكندرية فصعد إليها وطاف بأرجائها وشاهد محركاتها وأجزاء آلاتها واستمع إلى بيانات قائدها ، وقد ساعدته خبرته فى شؤون المحركات ومطالعاته عن كل ابتكار جديد فى الطائرات على سرعة استيعابها والإحاطة بها ، فما كادت الطائرة تحلق فى الفضاء حتى رأينا جلالته يجلس فى مكان القيادة ويقود الطائرة بنفسه بين إعجاب الضباط الأميركيين ودهشتهم وقد خلع جلالته سترته لشدة الحر فى ذلك الفصل من السنة وظل قابضاً على مفاتيح القيـادة حتى الاسكندرية فحلقت الطائرة فوق الميناء ثم فوق المدينة ثم اتجهت إلى قصر المنتزه فهبط جلالته بها وطاف حول منطقة القصر غير مرة ، وكانت جلالة الملـكة وصاحبات السمو الأميرات الكريمات يقضين فيه فصل الصيف ، وفى طريق العودة إلى القاهرة تولى جلالته قيادة الطائرة كذلك وقد ازداد رجالها تقديراً

لمهارته وشجاعته لما علموا أن هذه هى أول مرة قاد فيها جلالته طائرة

ولما انتهت الرحلة وعادت الطائرة إلى المطار خرج منها الملك بادى النشاط والاغتباط ، فدعوه إلى مشاهدة طائرة أخرى قالوا له إن فيها ابتكاراً جديداً، ولشد ما كان استغرابهم لما سمعوه يقول: « لقد قرأت عن هذا الابتكار » ثم حدثهم عن تفاصيله حديث الخبير بها

ودعا الجنرال رويس جلالته إلى جولة فى المطار الجديد فأشار الملك إلى سيارته الصغيرة وقال للجنرال رويس والمستر كيرك والفريق عطا الله باشا « تعالوا معى » وصعد إلى السيارة وانطلق بها وقد جلس الجنرال رويس إلى جانبه وجلس المستر كيرك والفريق عطا الله باشا على المقعد الخلفى ، وكان هناك مئات من العمال المصريين يعملون فى منشآت المطار فلما لمحوا جلالته عرفوه فهتفوا له هتافاً عالياً فكان جلالته يرد لهم التحية بالتلويح بيده باسماً شاكراً

ثم عاد الملك إلى مكان الطائرة فالتمس منه الجنرال رويس أن يسمح للمصورين العسكريين بتصوير ضباط الطائرة مع

جلالته فسمح بذلك مبدياً رغبته السامية فى أن تشمل الصورة جميع رجال الطائرة من ضباط وضباط صف وجنود ، ثم صافح جلالته الجنرال رويس والمستر كيرك وقائد الطيارة ولوح لسائر الحاضرين بيده وهو يطلق العنان لسيارته بيده الأخرى ، ولما ابتعد عن الأنظار التفت إلىَّ الجنرال رويس وقال : « كلما ازددت معرفة بملككم ازددت إدراكاً لسر تعلقكم به هذا التعلق الشديد »

وقال لى قائد الطائرة : « والذى أدهشنا فى جلالته أنه ليس فى كل ما رآه شىء جديد عليه أو غريب عنه »

***

وكان الملك فاروق طريح الفراش فى « القصاصين » يعانى آلام حادث السيارة الذى حدث له لما علم أن « عبد الفتاح عمر بك » البطل المصرى العالمى فى لعبة « سكواش راكت » وصل إلى مصر بعد الانتصارات الباهرة العظيمة التى أحرزها فى انجلترا على أبطال هذه اللعبة العالميين ، فأعرب جلالته عن رغبته فى رؤيته ، ولما استقبله هنأه بما وفق إليه ، وهنأه أكثر من ذلك بخلقه الرياضى قائلا إن تحلى الرياضى بالخلق الرياضى الكريم يهمه أكثر من بطولته فى الرياضة نفسها ، واستبقاه

جلالته فى حضرته زماناً طويلا ليسمع منه تفاصيل انتصاراته الأخيرة ، وقبل أن يأذن له فى الانصراف تفضل فأنعم عليه برتبة الباشوية تقديراً لبطولته ولما أسداه إلى سمعة مصر فى الخارج بخلقه الرياضى القويم ، فكان هذا التكريم الذى حظى به عبد الفتاح عمرو باشا تكريماً لكل رياضى يفهم الرياضة بمعناها الصحيح

* * *

والواقع أنه إذا كان جلالته رياضياً كبيراً بضروب الرياضة التى يمارسها فهو كذلك رياضى كبير بروحه وخلقه كما يعرف عنه ذلك أصدقاؤه الخصوصيون ، وقد أتاحت ظروف هذه الحرب لكثيرين من الضباط البريطانيين والأميركيين أن يتشرفوا بمعرفته عن كثب فى مناسبات بعيدة عن قيود التقاليد والمراسم الرسمية فاستهوتهم شخصيته بطابعها الإنسانى العظيم ، وقد سمعت غير واحد منهم يقول إنه من بواعث الأسف الشديد أنه ليس متيسراً لكل واحد أن يحظى بمعرفة جلالته لما لسجاياه الشخصية من تأثير كبير فى النفوس .

وقد شاهدت «القصاصين» صورة رائعة لخلقه الرياضى ، فانه

لما نقل إلى المستشفى العسكرى البريطانى على أثر حادث السيارة الذى حدث له ، أظهر جلداً عظيماً فى احتمال الآلام المبرحة التى كان يشعر بها فى تلك الساعة وطلب إلى أطباء المستشفى أن يبدأوا أولا بإسعاف الذين كانوا فى معيته من رجال حاشيته

وأقام جلالته ثلاثة أسابيع فى ذلك المستشفى العسكرى فى وسط الصحراء فىحجرة من حجره العادية وقد أبت عليه روحه الرياضية أن يغير شيئاً من نظامها لأنه ملك ، بل أصر على أن يعامل كجندى ، كأنما أراد أن يحيط بحياة الجندية من جميع نواحيها ، فنام على سرير « سفرى » واحتفظ بأثاث الحجرة كما كانت عليه عند وصوله إليها وأصدر أمره إلى رجاله بألا يجلبوا له شيئاً من القصر فحتى أغطية السرير ووسائده وملاءاته كانت من أغطية المستشفى ووسائده وملاءاته العادية المتواضعة

ولم ينقض على جلالته فى « القصاصين » أيام حتى قال لى الميجر بيرد قائد المعسكر البريطانى : « إننا من جهة شديدو الأسف على الحادث الذى حدث للمكم ، ولكننا من جهة أخرى شديدو الاغتباط بالظرف الذى هيأ لنا السبيل إلى التشرف بمعرفته عن

كشب فعرفناه كما هو حقيقة ، فيجب على مصر أن تكون فخوراً بمليكها »

وفى ليلة انتقال جلالته إلى القاهرة أنعم بنياشين ومداليات شتى على رجال المعسكر وضباط المستشفى والممرضات والمرضين الذين اشتركوا فى علاجه وخدمته وأهدى إليهم هدايا شتى ، فكان منظرهم وهم يحملونها شبيهاً « بشجرة عيد الميلاد » كما قال الميجر بيرد

وكان على جلالته أن يستكمل علاجه بعد انتقاله إلى قصر عابدين، وهنا تجلت عظمة روحه الرياضية بأجمل مظاهرها ، فقد قال جلالته إنه ليس من الوفاء للممرضات اللواتى اعتنين به فى « القصاصين » أن يستوفى العلاج على أيدى غيرهن ، فرغب إلى السلطات العسكرية البريطانية المختصة فى أن تأذن لاثنتين منهن فى الذهاب معه إلى قصر عابدين وملازمته فيه المدة الباقية للعلاج ، فحققت تلك السلطات رغبته السامية وقد وقع اختيار جلالته على الممرضتين اللتين كانتا تخدمانه « فى القصاصين » فى الليل لأنهما تعبتا أكثر من سائر زميلاتهن

وكان « المدلك » الذى يدلك الملك فى أثناء إقامته

« بالقصاصين » أنباشى انجليزى فلم ينسه جلالته كذلك عند انتقاله إلى قصر عابدين بل أخذه معه كما أخذ تينك الممرضتين وقد أقام هذا الأنباشى الانجليزى فى قصر عابدين بملابسه العسكرية الانجليزية طول المدة التى اقتضاها استيفاء العلاج وكثيرا ما كان جلالة الملك يكلف أحد ياورانه دعوته إلى السينما ويضع إحدى سيارات القصر تحت تصرفه فى الذهاب والإياب

وغنى عن البيان أن الملك كان يستطيع أن يجد فى القاهرة عشرات الممرضات والمدلكين، ولكن روحه الرياضية العالية أبت عليه أن يتم شفاؤه فى قصر عابدين على غير أيدى الذين سهروا على خدمته فى وسط الصحراء !

الفصل الثامن

فاروق المعتز بمصريته
ومصر المعتزة بملكها

لو أراد أعظم المصورين أن يصور سعادة الملوك كما يتخيلها لما استطاع أن يصورها بأروع مما عرفتها به تلك العبارة التى ختم بها جلالة الملك فاروق إحدى رسائله إلى شعبه ليشكره على مظاهر إخلاصه وولائه بمناسبة عيد ميلاده . قال جلالته : «إن الملك لا يستمد سعادته من انتشار ظله على الأرض ، ولكن يستمد هذه السعادة من تمكين محبته فى القلوب و إنى لأحمد الله أن وجدت فى كل قلب من قلوبكم عرشاً أعتز به وأفتديه »

وكل من أتاحت له الظروف شرف معرفة الملك فاروق عن كثب أحس بشدة اعتزازه بمصريته و بكل ما هو مصرى ولمس مقدار ثقته بشعبه واعتداده به

أوَ تريد أن تدخل البهجة على قلب جلالته ، وأن ترى عينيه تبرقان فرحاً وزهواً . . . حدثه عن عمل حسن أو مشرف

عمله مصرى . . . مهما قل شأنه . . . تشعر من الانشراح الذى يرتسم على أسارير وجهه بمبلغ سعادته وفخره

كان جلالته يعانى فى « القصاصين » من الألم ما يعانى حين بلغه أنه لما زار الرئيس روزفلت والمستر تشرشل أبا الهول والأهرام أبى الدليل المصرى الذى صحبهما فى جولتهما أن يتقاضى أجراً على عمله ، فقال جلالته على الفور : « حسن . هذا عمل طيب » وأطرى مسلك الدليل إطراء عظيما وأمر بأن يرسل إليه مبلغ من المال تقديراً منه لصنيعه

ودعا جلالته مرة سمو الأمير بول ولى عهد اليونان و بعض كبار الضيوف الأجانب إلى القصر الصغير الذى بناه فى المزارع الملكية فى انشاص فأعجبوا بجماله وحسن تأثيثه وتنسيقه ، فقال لهم جلالته معتزاً : « إن الأيدى المصرية هى التى بنت أو صنعت كل شىء ترونه هنا »

وعند جلالته أنه إذا أتيحت للعامل المصرى ظروف العمل فلا يستطيع عامل آخر أن يظهر عليه

ولما قال جلالته عند زيارته للكاتدرائية الإنجليزية للمطران جوين ولرئيس أساقفة يورك إنه سيهدى إلى الكاتدرائية أجزاء

النافذتين اللتين جاء ذكر حكايتهما فى فصل سابق ، قال المطران جوين : « إنى سأبرق حالاً إلى لندن لكى يصنعوا لنا هذه الأجزاء » فقال جلالته باسماً : « إن هذه الأجزاء ستصنع بأيد مصرية فتجىء هدية مصرية حقيقة » فضحك رئيس أساقفة يورك ، وقال : « إن جلالته على حق »

ولما اشترك جلالته فى مباراة الرماية الدولية قال لرئيس الفريق المصرى : « إذا أحرزت رقماً يفوق الرقم الذى يحرزه أحد أعضاء الفريق المصرى فضعوا اسمى مكانه لكى يتحسن ترتيب فريقنا و إلا أغفلوا اسمى وخذوا أسماء المتفوقين منا » وكذلك لم يتجه تفكير جلالته إلى أن يقال إنه أحرز رقم كذا بل اتجه إلى ضرورة ظهور الفريق المصرى بمظهر مشرف ، ولذا طلب أن تدمج نتيجة مجهوده — فى حالة تفوقه — فى نتائج جهود غيره ما دام الغرض واحداً !

وقد تعمدت أن أستشهد بهذه الحوادث الصغيرة لأنها مع بساطتها تدل دلالة واضحة على الروح التى تخالج جلالته وعلى الشعور الذى يضطرم بين جنبيه، فهو بحق المصرى الأول بشعوره ووجدانه قبل أن يكون المصرى الأول بتاجه وصولجانه

وهو فى الوقت عينه أول من يقدر الأجنبى الذى يحب مصر ويخلص لها على نحو ما رأينا فى فصل سابق ، وإذا كنت أعود إلى التنويه بذلك هنا فلكيلا يساء فهم ما قلته عن اعتداد جلالته بمصريته ، وأظن أن الأجانب الذين يصطفيهم جلالته ويشرفهم بصداقته أول من يؤمن على هذا الكلام ، وهم كذلك أول من يشهد بأن جلالته مستعد دائماً لأن يكون صديقاً لكل من يشعره بأنه صديق لمصر ، ولا ينسى جلالته أصدقاءه الأجانب عند ما يغادرون مصر بل يذكرهم على الدوام ويوالى السؤال عنهم ، أذكر أنه كان جالساً مرة مع الكولونيل بتلر — وهو الذى كان ياوراً لدوق كنت شقيق ملك بريطانيا نحو اثنتى عشرة سنة — فسمعته يسأله : « كيف حال الميجر فلان » فقال الكولونيل بتلر : « إنه بخير يا صاحب الجلالة وهو فى لندن وقد تلقيت منه كتاباً من أيام » فقال جلالته : « إنى مسرور بأن أسمع أنه على ما يرام فهو صديق » . . . . . وأظن أن كلمة « صديق » وحدها تغنى عن كل تعليق !

وما كادوا ينعون إلى جلالته المستر برت فيش وزير أميركا المفوض الأسبق فى مصر ، وقد توفى فى لشبونه ، حتى أمر بأن

يبرقوا إلى وزير مصر فى البرتغال بأن يضع اكليلا من الزهر على ضريحه باسم جلالته وقال حفظه الله « لقد كان المستر برت فيش محباً لمصر وصديقاً لى وأنا فعلا شديد الأسف على وفاته »

***

وكأنما أراد جلالته أن يكاشف شباب مصر المتعلم بما يعلقه عليه من آمال فأمر فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٣ بإقامة حفلة شاى كبيرة فى حدائق قصر عابدين تكريماً لأوائل الطلبة والطالبات الذين أتموا دراستهم فى ذلك العام فى كليات الجامعة الأزهرية وجامعتى فؤاد الأول وفاروق الأول وكليتى الحربية الملكية والبوليس الملكية وجميع المعاهد العالية والفنية والمتوسطة بمختلف أقسامها حتى بلغ عددهم نحو خمسمائة طالب وطالبة صافحهم جلالته جميعاً واقفاً وقد افتر ثغره عن ابتسامة الرضاء والارتياح ثم شرب جلالته الشاى معهم وكأنما كان هناك تيار خفى بينه وبين ضيوفه فلم يحولوا أبصارهم عنه ولاحظ جلالته أنهم لا يأكلون فأطال الوقوف وقال لبعض رجال الحاشية « اعزموا عليهم »

وقبل أن يبرح جلالته المكان عائداً إلى داخل القصر التفت إلى ضيوفه وحياهم برفع يده الكريمة إلى رأسه غير مرة وما كادت

الموسيقى تفرغ من عزف السلام الملكى حتى كانت ديمقراطية جلالته ومظاهر عطفه قد أنستهم أنهم فى القصر الملكى فهتف أحد الطلبة بحياة « الدكتور فاروق ملك مصر » فدوى المكان بعاصفة من التصفيق وابتسم الملك وكرر التحية. و بينما كان جلالته متجهاً إلى داخل القصر كان الهتاف يتكرر « لملك مصر والسودان » و « ملك الشباب » و « الملك الصالح » و «المصرى الأول » فقد أراد الشباب المتعلم فى تلك اللحظة أن يعرب لجلالته عما يكنه له الشباب — قلب مصر النابض — من حب وولاء و إخلاص فأرسل الهتاف عالياً من قلوب مخلصة عامرة بالإيمان — الإيمان بالله والملك والوطن

وعلى أثر ذلك تقدم معالى أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان العالى وتلا عليهم الرسالة الكريمة الموجهة إليهم من جلالة الملك وقد استهلها جلالته بقوله :

« إنى لأشعر بالغبطة تغمر نفسى إذ أراكم تحفون بعرشى ، وتحيطون تاجى بهالة من علمكم وشبابكم ، و إن عرشاً و إن تاجاً يحف بهما العلم والشباب لعرش وتاج جديران بمصر : مصر التى كانت ومصر التى ستكون

« أما مصر التى كانت فقد تولى التاريخ الكلام عنها والتغنى بمآثرها ، وأما مصر التى ستكون فأنتم المسؤولون عنها و إنها لأمانة فى أعناقكم فلا تجعلوا أنشودة التاريخ فيكم أقل روعة من أنشودته فى أجدادكم »

ثم قال جلالته : « لقد أردت بهذا الاجتماع أن تلمسوا عن قرب حبى لكم وتقديرى للعلم فى أشخاصكم وأن تحيوا باسمى زملاءكم الذين تواضع بهم حظهم فجاءوا بعدكم فى ترتيب النجاح وأن تبلغوهم اعتزازى بنجاحهم ونجاحكم فإن كل إجازة علمية جديدة تعد نجماً ساطعاً فى سماء بلادى

« أنتم حملة المشاعل وكثيرون ينتظرون الضوء الذى تحملون ليهتدوا به إلى طريق الحياة فلا تطيلوا انتظارهم ، وانفعوا بعلمكم وانتفعوا ، وليكن لكم من دينكم ووطنكم و إيمانكم وأمانتكم حصانة تقيكم الزلل »

وختم جلالته رسالته بقوله : « ارفعوا المشاعل فوق الطريق ولا تجعلوها ناراً تحرق بل اجعلوها نوراً يضىء ، وعلى بركة الله سيروا فى طريقكم ، وهذه يدى فى أيديكم تساهم فى العمل معكم ،

يد قوية ، لا لأنها يد ملك ، ولا لأنها يد شاب ، ولكن لأنها يد مصرى يؤمن بمصريته

« فلنؤمن جميعاً بمصر فإنها كنانة الله ولنعمل لها وسيرى الله أعمالنا ويباركها »

وفى شهر رمضان المبارك من السنة عينها أمر جلالته فأدبت مأدبة إفطار كبيرة فى قصر عابدين العامر لرؤساء طوائف العمال وممثلى نقاباتهم وجمعياتهم إظهاراً لإيمانه بالذين تقوم على سواعدهم نهضة مصر الصناعية ولكى يعلموا أن الملك يفتح أبواب قصره ويرحب بكل مصرى يعمل فى سبيل بلاده .

وتفضل جلالته فطاف بهم مسلماً فقابلوه بأشد مظاهر الإخلاص والولاء حماسة ، ولما أزف وقت الغروب وحل موعد الإفطار أكل جلالته من رغيف قدمه إليه أحد العمال فتعالى هتافهم للملك نصير العمال

ولم يشأ جلالته أن يحرم زملاؤهم بالاسكندرية من فيض عطفه ورعايته فأمر بأن تؤدب لهم فى قصر المنتزه العامر مأدبة إفطار مماثلة للمأدبة التى أدبت بالقاهرة

***

إن هذه الرسالة ليست سيرة للفاروق بل مجموعة صور سريعة له فى نواحيه المتعددة ، ولكنى لا أستطيع أن أختم هذه الرسالة من دون أن ألمع إلى أيام « القصاصين » و إلى اليوم الذى خرجت فيه القاهرة تحيي المليك باسم مصر كلها فرحة مبتهجة ، بعودته من «القصاصين» بعد ما كتب الله له النجاة ومنَّ عليه بالشفاء . . . فقد كانت أيام « القصاصين » وحفاوة الشعب بالفاروق عند رجوعه من « القصاصين » مبايعة شعبية عامة تجلت فيها مكانة المليك فى النفوس بأروع مظاهرها وأجمل صورها

ففى مساء يوم ١٥ من نوفمبر سنة ١٩٤٣ أذيع أن الملك أصيب فى حادث سيارة بالقرب من « القصاصين » وهو فى طريقه إلى الإسماعيلية ليتفقد الإصلاحات التى أدخلت على يخته الجديد « فخر البحار » وأنه نقل إلى المستشفى العسكرى البريطانى فى «القصاصين» فارتفعت الدعوات الخالصات فى كل مكان ومن كل بيت بحمد الله وشكره على نجاة المليك وسؤاله أن يمن على جلالته بالشفاء العاجل فاستجاب الله تعالى الدعاء وأكرم مصر والشرق العربى كله

وقد رأيت ميدان عابدين فى مناسبات متعددة ولكنى لم أره كما رأيته فى اليوم التالى ليوم الحادث فقد ظلت الجماهير تتدفق عليه طول النهار تدفقاً لم تشاهد العين مثله حتى استحال الميدان على سعته كتلة بشرية واحدة حجبت أرضه عن الأنظار ، ولما ضاق الميدان بجموع الشعب انتشرت فى الشوارع المؤدية إليه والمتفرعة عليه وهى تهتف للفاروق معقد آمال البلاد

وسمعت الشعب يهتف فى عابدين غير مرة ولكنى لم أسمعه يهتف كما كان يهتف فى ذلك اليوم

كان هتافه مزيجاً من الدعاء والاغتباط والحماسة ، فكان هتافاً ينفذ إلى القلوب قبل أن يصل إلى الآذان

وكان الشعب يعلم أن الملك ليس فى القصر ومع ذلك كانت الأبصار كلها متجهة اليه كأنما كان كل واحد يبصر جلالته واقفاً فى شرفته ، وهذا هو سر تعلق الشعب بالفاروق فان كل واحد يشعر أن الملك معه ، وأن الملك يفكر فيه ، وأن الملك يشعر شعوره . كل واحد يشعر أن الملك صديقه . كل واحد يشعر أن هناك صلة روحية بين الملك و بينه . وهو شعور لم ينشأ فى الشعب عفواً بل نشأ فيه بعد الذى رآه من بر المليك به فى كل مناسبة

وتفكيره الدائم فيه وحدبه على الفقير قبل الغنى وعلى الضعيف قبل القوى وعلى الصغير قبل الكبير

أما فى داخل القصر فكان زحاماً لم يعرف رجال المعية مثله فجاءوا بسبعة سجلات كبيرة ليكتب فيها الزائرون أسماءهم ومع ذلك كان التهافت عليها شديداً فقد سعى كل ذى حيثية ومقام، مصرياً كان أم أجنبياً، إلى بيت الملك ليعرب عن شعور ولائه و إخلاصه وكان الجميع يرددون أن الله لطف بمصر لحفظ لها فاروقها

ولما أذيع أن جلالة الملك آثر البقاء فى « القصاصين » لم تلبث « القصاصين » أن أصبحت مقصد جموع الشعب من جميع الطبقات فرأت كل يوم ألوفا متعددة من الزوار على الرغم من بعد المكان

ولا أريد هنا أن أتحدث عن وفود العظماء والكبراء الذين يمتلكون سيارات، ولكنى أريد أن أتحدث عن عشرات ألوف من الطلبة والعمال والزراع وصغار الموظفين وأبناء الطبقات المتوسطة، وكانوا يذهبون إلى « القصاصين » بسيارات كبيرة يستأجرونها لهذا الغرض ويحشرون أنفسهم فيها حشراً أو يسافرون اليها بسكة الحديد فيملأون القطر حتى إذا غصت بهم المركبات تسلقوا ظهر القطار وجلسوا عليه غير مبالين بالخطر الذى

يستهدفون له ما داموا ذاهبين إلى « القصاصين » ليطمئنوا على مليكهم المحبوب وليعربوا له عن شعائر ولائهم و إخلاصهم فاذا وصلوا إلى محطة « القصاصين » اتجهوا ماشين إلى مكان المستشفى والمسافة بينه وبين المحطة ذهاباً و إياباً لا تقل عن خمسة كيلومترات تحت وهج الشمس فى صحراء جرداء ، فإذا بلغوا مكان الزيارة اصطفوا فيه صفوفاً منتظمة ، وأوفدوا مندوبين عنهم لمقابلة بعض رجال الحاشية فيرفع هؤلاء رسالتهم إلى جلالة الملك المعظم ، ثم يعودون إليهم ويبلغونهم الشكر السامى و يطمئنونهم و يرجون منهم أن يطمئنوا إخوانهم الذين لم يجيئوا معهم ، فترتفع أصواتهم بالهتاف بحياة المليك الغالية ثم ينصرفون وهم يكررون الهتاف على طول الطريق . هؤلاء هم الذين أردت أن أنوه بزيارتهم « للقصاصين » تنويهاً خاصاً

وكان الناس فى المدن والقرى التى تمر بها القُطُر الذاهبة إلى « القصاصين » يقابلونها بالهتاف لجلالة الملك كأنما يحملون ركابها تحياتهم لجلالته

وكان العمال الذين يعملون فى المعسكرات القريبة من المستشفى يستهلون النهار بقولهم : « صباح الخير يا فاروق » وهم واقفون فى

اللوريات التى تقلهم إلى مقر عملهم ، وفى المساء يقولون وهم منصرفون باللوريات عينها : « مساء الخير يا فاروق »

شعور شعبى عام لا يمكن كاتباً أن يفيه حقه من الوصف ، فقد تجلى بصورة تسمو على كل وصف

وعاد هذا الشعور الشعبى فتجدد يوم الثلاثاء ٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٣ وهو اليوم الذى شرف فيه جلالته عاصمة ملكه من «القصاصين» فانه ما كاد سكان القاهرة يطالعون فى الصحف قبل ذلك بيوم واحد أن الموكب الملكى سيجتاز العاصمة من قصر القبة إلى قصر عابدين حتى ازدادوا فرحاً وابتهاجاً بهذه الفرصة التى ستتيح لهم ، وهم يجتلون طلعة المليك السنية ، أن يجددوا الإعراب عن شعور الغبطة الذى غمرهم لنجاة جلالته وأن يظهروا لجلالته بهذه المناسبة ما تكنه له قلوب رعاياه من حب و إخلاص وولاء

وعلى الرغم من ضيق الوقت أخذوا يتبارون فى إقامة الزينات وخصوصاً فى الطريق الذى يجتازه الموكب الملكى فلم يأت المساء حتى كانت أقواس النصر قد أقيمت فى جهات متعددة وحتى كانت الأعلام تخفق فى كل مكان ، ومما استوقف النظر أن أصحاب

المتاجر والمحال الأجنبية عدوا العيد عيدهم كذلك فرفعوا الأعلام على متاجرهم ومحالهم مشاركة لمصر فى فرحها وابتهاجها و إظهاراً لما لجلالة ملكها المعظم من مكانة فى نفوسهم

وعقدت الهيئات الشعبية اجتماعات سريعة وقررت ما تعمله لتحية الملك فى هذا اليوم الميمون الطالع ، وذلك وفاء لبعض ما عليها لشخص جلالته وهو الذى غمر طبقات الشعب فى كل مناسبة بفيض من عطفه وكرمه

وأبت هيئات العمال إلا أن يكون هذا اليوم عيداً شعبياً عاماً يظهر فيه العمال ما تنطوى عليه قلوبهم لصاحب العرش العظيم

وكيف لا يجعله الشباب المتعلم من ناحيته عيداً شعبياً عاماً كذلك والملك يمثل أمانى الشباب وآماله . أمانى مصر الغد وآمالها

بل كيف لا يجعله الشعب كله عيداً شعبياً عاماً وقد كان الملك فى كل وقت مع الشعب وللشعب فأضحى محط رجائه ومعقد آماله

واستيقظت القاهرة فى صباح يوم الثلاثاء ٧ من ديسمبر لتشاهد ما لم يسبق أن شهدته من الزينات الجميلة وأقواس النصر العظيمة من قصر القبة إلى قصر عابدين ، وكذلك لم تشهد عاصمة المملكة

مثل ما شهدت فى ذلك اليوم من احتشاد مئات الألوف فى طريق الموكب الملكى حتى ضاقت بهم الطرق والميادين الفسيحة فتسلق كثيرون منهم الأشجار والمرتفعات ليتسنى لهم رؤية المليك المحبوب وامتلأت شرفات المنازل والنوافذ بالسيدات والآنسات على طول طريق الموكب الملكى وأعد أصحاب القهوات والفنادق أماكن لجلوس المتزاحمين للترحيب بالفاروق

وفى نحو الساعة الواحدة بعد الظهر تحرك الركاب العالى من قصر القبة ، وكان جلالة الملك مرتدياً بذلة القائد الأعلى للجيش المصرى، وما كاد جلالته يلمح طلائع شعبه حتى نسى ألمه ونصح الأطباء له فنهض وأخذ يرد لشعبه الوفى التحية برفع يده إلى رأسه تارةو بالتلويح تارة أخرى وهو واقف فى سيارته وقفته العسكرية المعروفة وقد تجلت على وجهه المشرق أمارات الغبطة والانشراح

واستمر جلالته يحيى شعبه كذلك من حدائق القبة حتى ساحة قصر عابدين الداخلية

وكانت الجماهير إذا أبصرت جلالته انفجرت حماستها فتدوى المتافات وتلتهب الأكف بالتصفيق وتعلو زغاريد النساء على أنغام الجوقات الموسيقية ، وقد ألقت كثيرات منهن الأزهار

والرياحين فى طريق الموكب الملكى من شرفات المنازل والدور ولأول مرة رئى مئات من الأطفال يلوحون لمليكهم المحبوب بأعلام مصرية صغيرة .

واصطف تلاميذ المدارس القائمة فى طريق الموكب الملكى على جانبى الطريق واشتركوا فى تحية جلالته

ولما وصل الركب الملكى إلى ميدان المحطة لم يكن هناك متسع لقدم فتسلق الناس مركبات المترو والترام لكى لا يفوتهم اجتلاء طلعة المليك المفدى

أما فندقا شبرد والكونتننتال فكانا عبارة عن كتلة بشرية يرى المرء أولها ولا يلمح آخرها

وأما ميدان الأوبرا فبدا بصورة يعجز القلم عن تصويرها حتى إذا وصل الموكب الملكى إلى ميدان عابدين خيل إلى المرء أنه أمام بحر زاخر من الخلق وما كادت الجماهير تبصر المليك واقفاً فى سيارته حتى تأججت نار حماستها فاذا الميدان يتحول إلى عاصفة من التصفيق والهتاف

وبينما كانت السيارة الملكية تجتاز باب القصر التفت

جلالة الملك إلى رئيس ديوانه وقال : كم كنت أود لو استطعت أن أصافح كل فرد منهم

و بعد أيام وجه جلالته إلى شعبه الوفى رسالة كريمة استهلها بشكر الله تعالى على رحمته ونعمائه ثم قال :

« وأنتم يا أبناء شعبي لكم بعد الله حمدى وحبى ، فإن ما أحسست من وفائكم وولائكم أنسانى ألمى وضمد جرحى وجعل صحرائى جنة وارفة الظلال

« ولقد تعودت فى صحتى أن أطوف ببلادى لأن هذا واجب الملك وما تصورت فى مرضى أن تطوف بى البلاد هكذا مستفسرة عن صحة مليكها — بل ابنها . فما أنجب وطناً أنتم أبناؤه ، وما أسعد ملكاً أنتم رعيته

« إن الحادث الذى وقع علمنى أن تعلقى بكم لا يعدله إلا تعلقكم بى ، ولقد كنت أشعر أنكم تحبوننى لأنى أحبكم ، فوددت ألا يذاع النبأ حتى لا تجزعوا ولكنكم سرعان ما علمتم بما حدث لى ، وسرعان ما علمت بما حدث لكم وما حدث منكم

« ثم عدت إلى عاصمة ملكى فرأيت ما وددت معه لو استحالت أنفاسى ونظراتى كلمات شكر فإنها وحدها تستطيع

تصوير ما ارتسم فى ذهنى وخاطرى من معنى وشعور

« إن من أجمل أمانى الإنسان أن يرى من يحبه ولقد رأيتكم ، رأيت مصر كلها فيكم ، وأحسست صدى ما تشعرون به يجيش فى جوانحى خفقاً وفى خاطرى أملا وفى قلبى إيماناً بكم

« يا أبناء شعبى . إننى ملككم أملك أن أحبكم . ولكنى لا أملك شكركم »

فهنيئاً لبلاد بملك هذا هو شعوره نحو شعبها !

وهنيئاً لملك ببلاد هذا هو شعور شعبها نحوه !

يوليو ١٩٤٤

فهرس الموضوعات

صفحة